

احمد حسين الطماوي



هوامش نقدية

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

هذه هوامش نقدية نتابع فيها الكتاب ، ونراجع فيها المقالات ، وننبه على زلات الاقلام ، ونعين مريض الكلام ، عندما تصبح الحقيقة نائية ، والصواب بعيدا ، وليس القصد منها ابراز التفوق ، أو المفاخرة بالمعارف ، وانما الهدف ايضاح الحقائق ، وتمحيص الوقائع ، وتحري الاخبار قبل ان تثبت في الذهن ، وتتجاوب مع النفس ، وتتناقلها الشفاه ، ويتداولها القراء ، وخاصة اذا كانت هذه المقولات من ارباب الاقلام المستطيعة ، واصحاب الكتابات المستفيضة ، مما يجعل المتلقي يتقبل ما يسطرون بنفس رائقة مطمئنة ، وهو لا يدري أن ما يقراه اغاليط وغرائب ، واباطيل لا حقائق .

١ ــ مجالس الخلفاء والوزراء

نشر « الاهرام » في صفحة « دنيا الثقافة » مقالا تحت عنوان « ثقافة التسلية ومجالس الانس » للدكتور سمير سرحان تحدث فيه عن « مجالس الانس والطرب التي كانت تعقد في تصور الخلفاء في ــ عصور انحطاط الادب العربي ــ » وضرب مثلا بالخليفة المتوكل الذي اجزل العطاء للبحتري بعد انشاده قصيدة ؛ ثم تقدم الشاعر ابو العنبس الصيمري ، وعارض قصيدة البحتري وهجاه فضحك الخليفة ومنح ابا العنبس « جائزة مساوية لجائزة البحتري » « والغرض في الحالتين ان يسر الخليفة » ونعجب كل العجب من وصف الدكتور سرحان لعصر البحتري بانه عصر انحطاط الادب ، وهو العصر الزاخر بعماليق الادب العربي الذين نتماجد بهم في كل العصور ، من امثال البحتري وابن الرومي ، وابي تمام ، والجاحظ وابن المعتز وغيرهم (القرن الثالث الهجري) ولو لم يكن في هذا العصر غير هؤلاء لكفاه ان يكون عصر الرقي الادبي .

ويقول الدكتور « اما القيمة الفنية او الفكرية للقصيدة التي يلقيها الشاعر مثلا فهي ليست محل نظر من مجلس السمار ولا تعنيهم في شيء » .وكان الدكتور يحدث قوما يجهلون ادبهم وتاريخه ، وهل هذا المثال الذي جرى بين المتوكل والبحتري وابي العنبس يجعل الدكتور يعمم الحكم على مجالس الفكر عند الخلفاء والوزراء ، وينعتها بأنها مجالس تسلية وترفيه ، وان القصائد لم تكن محل نظر من السامعين . لقد كان الخليفة المتوكل يقول اذا اعجبه قول البحتري « احسنت والله يا بحتري جئت بما في نفسي » ولما انشد البحتري قصيدته « ردي على المشتاق بعض رقاده » طلب المتوكل من البحتري ان يعيد الابيات فاعادها فقال « آمين » وهذا يعني انه يطرب للشعر الجيد ، وعندما القى البحتري امام الفتح بن خاقان وزير المتوكل قصيدته « هب الدار ردت رجع ما انت قائله » اعجب بها الفتح حتى قال عنه البحتري « رايته يبتسم عند كل بيت جيد فعلمت انــه يعرف الشعر » اي يتذوقه ويقدر اخيلته (انظر كتاب اخبار البحتري للصولي) . وهذا يعني ان الشعر لم يكن يلقى للاستمتاع فقط بل لتقديره ، وتقدير قائله ، ويكفي ان يحضر البحتري احد المجالس ليكون مجلسا مفيدا . ومما يروى انه عندما انشد قول الحطيئة امام عمر بن الخطاب :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

« قال عمر كذب . بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم » . وقال عمر عن الحطيئة ايضا : « كذب الحطيئة حيث يقول :

وان جياد الخيل لا تستفزنا ولا جاعلات الربط فوق المعاصم

لو ترك هذا احد لتركه رسول الله (ص) » (الاغاني ج ٢ ط دار الكتب) وهذا يعني ان الشعر الذي كان يلقى ، كان محل نظر من الخلفاء ، وعندما انشد مخارق بيت هلال بن اسعر المازني للرشيد :

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

بكى الرشيد واعتق مخارق ومنحه العطايا ، مما يفيد ان الخلفاء كانوا يتاثرون بمعاني الشعر الجيد حتى البكاء وعتق الرقيق ، ولم يكن الهدف هو الترفيه فقط كما يزعم الدكتور ، اما الخليفة المنصور فقد كان يبحث عن الشعراء

والنقهاء ليسخلوه : وعندما مات ابنه الاكبر وحزن عليه حزنا شديدا طلب من حاجبه « الربيع » ان يأتيه بمن ينشده قصيدة ابي ذؤيب الهذلي «امن المنون وريبها تتوجع» وما اظن ان ابا جعفر المنصور كان يبحث عمن ينشده هذه القصيدة للتسلية والترفيه والامتاع . وفي مجلس الوزير ابن الفرات جرت المناظرة الشهيرة بين ابي بشرمتى وابي سعيد السيرافي في النحو والمنطق ، وتناولت المحاورة ادق مسائل اللغة والفلسفة مما يؤكد ان مجالس الفكر عند هؤلاء لم تكن تسلية ولهوا ، وكان سيف الدولة ينتقد ابياتا للمتنبي وفي « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » ينتقد سيف الدولة قول المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف كانك في جفن الردي وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال له « بيتاك لم يلتئم شطراهما » وعدل الشطرات على هذا النحو :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمي هزيمة كانك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي لسيف الدولة « ان الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك ، لان البزاز يعلم جملته ، والحائك يعلم تفاصيله » واقنع المتنبي سيف الدولة بحسن صياغته ، وتلاؤم شطرات شعره ، وهذا يدل على ان القصائد التي تنشد كان يجري حولها نقاش دقيق ، ولا تسمع على علاتها وتفوز في النهاية بالتصفيق والعطايا . وحينما انشد المتنبي قصيدته الميمية « واحر قلباه ممن قلبه شبم » قاطعه ابو فراس في كثير من ابياتها زاعما ان معاني المتنبي في هذه القصيدة مبروقة من دعبل وعمرو بن عروة والهيثم النخعي ومعقل العجلي وغيرهم ، ولا يعني هذا الا ان السمار كانوا ينظرون في المادة الشعرية ويراجعون مضمونها ، ويكشفون عن المصادر التي استقى منها الشاعر معانيه .

ولا نذهب في القول الى ان مجالس الادب عند الخلفاء والوزراء كانت جدا خالصا ، وانما كانت تتخللها النوادر والملح والفكاهة ، وقد قال المعتز مرة للبحتري « ان النفس تمل الاجود فتتلهى بما هو دونه » وكان على الدكتور سرحان ان يتحرى الدقة ، ويقلب صفحات الادب ، قبل ان يصدر حكما متكئا على مثال واحد .

٢ ـــ اقوال خاطئة عن العقاد

قال الاستاذ فاروق جويدة المشرف على صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام في مقال بتاريخ ٧٩/٢/١٢ تحت عنوان « كبرياء الكاتب » : « ويختلف العقاد مع الوفد ويخرج شاهرا قلمه ، ويلتقي بالنحاس باشا رئيس حكومة الوفد في الاسكندرية ويثور جدل كبير بينهما ويمسك العقاد قلمه الرصاص ويقول لزعيم الوفد : لن تنتهي برية هذا القلم الا بسقوط وزارتك » .

وجلية الامر ان النحاس باشا في هذه الحادثة لم يكن رئيسا للحكومة . وانما الذي كان في الحكم هو نسيم باشا حيث تولى الوزارة للمرة الثانية عام ١٩٣٤ ، وعندما لم يعد الدستور الذي كان امنية الامة على يديه ، هاجمه العقاد باعتباره كاتب الوفد ، وكان زعيم الوفد النحاس باشا يؤيد وزارة نسيم باشا لذلك استدعى العقاد وحثه على وقف الحملة على الوزارة النسيمية ، وثار جدل عنيف . واخرج العقاد قلمه الرصاص ، وقال ما معناه ان وزارة نسيم ستسقط قبل ان ينتهي هذا القلم(١) ، اذن لم يقل العقاد هذه العبارة في صدد اسقاط حكومة النحاس ، وانما لاسقاط وزارة نسيم التي كان يؤيدها زعيم الوفد ، ويبدو ان الاستاذ المشرف على صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام يكتب وقائع التاريخ من ذاكرته ، أو من حكايات الآخرين ، ولا يكلف نفسه عناء البحث ، وتمحيص الاخبار ، فجاء مقاله والخطأ يلازمه .

وذكرت الدكتوره نعمات احمد فؤاد في صحيفة دنيا الثقافة بالاهرام بتاريخ ٧٩/٣/١٢ ما نصه : (كان العقاد موفقا يوم قدم اليه رئيس الجمهورية السابق جائزة الدولة التقديرية في الآداب فقال امامه : « ان الامة قرات فقدرت فقررت . وان دولة الفكر تسبق دولة الحكم . بل هي التي تقودها ») .

وقد رجعنا الى خطبة العقاد التي القاها في ديسمبر ١٩٦٠ امام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في حفل اقيم بجامعة القاهرة ، ونشرتها مجلة « الهلال » في عدد فبراير ١٩٦١ فلم نجد العبارة الاولى وهي « ان الامة قرأت فقدرت فقررت » اما العبارة الثانية « وان دولة الفكر تسبق دولة الحكم . بل هي التي تقودها » لم ترد في الخطبة كما روت الدكتوره ، اما عبارة العقاد فقد جاءت على هذا النحو : « تلك هي جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم » وهناك فارق كبير بين العبارتين لا يخفى على القارىء ، ولو اراد العقاد ان يقول ما قالته الدكتوره على لسانه لقال ، فما كانت تنقصه الشجاعة ، وان ما قاله العقاد امام عبد الناصر كان كافيا للتعبير عن كرامته وكرامة الادب ، ولم تكن الدكتوره في حاجة الى التزيد والتعديل في كلام العقاد لتبرهن على اعتداده بنفسه ، وتاكيد فحولته وشهامته . اما اذا كانت الدكتوره تكتب من ذاكرتها دون الرجوع الى النص الاصلي في مظانه ، ودون تحقيق او توثيق ، فكان يجب عليها الا تضع كلام العقاد بين قوسين . لان الاقواس من علامات التنصيص ، وان ما بينها نص القول ، والخطورة الكبيرة في هذا ؛ ان يعتمد باحث على ما نسبته الدكتوره الى العقاد وينقله عنها بنصه فيقع في الخطا ، وهكذا يمكن ان يكون الكاتب قدوة غير حسنة لغيره . وقد يكون الباحث الذي يستند الى هذه الاقوال المحرفة له عذره ، ذلك ان هذا الكلام تقدمه اليه كاتبة شهيرة ، لها كتابات كثيرة ، وفي صحيفة يومية عريقة هي الاهرام . واذا حرفنا في كلام العقاد الذي لم يمض على

وفاته الا خمسة عشر عاما وعدة شهور فماذا نفعل في النصوص التي مضى عليها اكثر من الف عام ؟

٣ ــ نابليون دخل موسكو

تحدث الاستاذ مصطفى بهجت بدوي في صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام بتاريخ ١٩٧٨/١٢/٢٤ عن روسيا « ومقاومتها الاسطورية التي ردت وحطمت جحافل الغزاة مرتين خفاقتين نحرت في احداهما نابليون امام موسكو ، وفي الثانية هتلر امام ستالينجراد » انتهى .

وكلمات الكاتب ردت ... وحطمت ... ونحرت تفيد ان نابليون لم يدخل موسكو بل رد وحطم ونحر ولم يحتل بجيشه المدينة ، واذا صدق ذلك على جيوش هتلر في ستالينجراد ، فانه لا يصدق على نابليون في عدم دخوله موسكو ، وحقيقة الامر ان نابليون قاد حملة على روسيا في صيف ١٨١٢ ، ولما ايقن الروس انهم لن يستطيعوا مواجهة الجيش الفرنسي قرروا الانسحاب من طريقه ، واتلاف كل ما يمكن ان يستفيد منه جند نابليون ، ووصل الامر الى حرق مدينة سمولنسك ، وعلى ابواب موسكو اشتبك نابليون مع قائد الروس كوتوبسوف عند بورديتو ، ومع ان الخسائر كانت جسيمة في الجانبين ، الا ان الهزيمة كانت من نصيب الروس ، واصبح بذلك الطريق مفتوحا الى موسكو امام الفرنسيين ، واحرق القائد الروسي المهزوم كل القرى على طريق موسكو ، وفي نفس الوقت اعد رستونجين حاكم موسكو خطة لحرقها ومع ذلك دخل نابليون المدينة في سبتمبر ١٨١٢ ، وجلس على عرش القيصر في الكرملين حتى ١٨ اكتوبر ١٨١٢ ، لعل القيصر يحضر اليه ويستجيب الى مطالبه ، ولكن القيصر لم يفعل ذلك ، فقرر الامبراطور العودة الى فرنسا ، وفي طريق عودته هطلت الثلوج فمات الكثير من جنوده بفعل الطبيعة ، فلا يرجع فشل حملة نابليون على روسيا الى باس الروس وقوتهم ، ولكن كما يقول فيشر « الى اسباب نقشت نقشا عميقا على وجه الطبيعة . وهي اسباب ليس في مقدور اية قوة بشرية مهما تعظم ان تتغلب عليها » . والخلاصة ان الروس لم يقاوموا نابليون بالقتال المباشر في كل الاحوال ، وانما واجهوه بحرق مدنهم ، وتخريب ريفهم ، اذن فاين المقاومة الاسطورية التي ردت وحطمت ونحرت نابليون امام موسكو ، وكيف حدث ذلك وكتب التاريخ تذكر انه دخلها وجلس على عرش حاكمها ؟

تعقيب : هذه نماذج مما تنشره صفحة « دنيا الثقافة » بالاهرام والتي يشرف عليها الاستاذ فاروق جويدة ، واذكر الاستاذ المشرف بكلمة قالها في صفحته الادبية بتاريخ ٧٩/٣/٦ : « هناك اجيال تتعلم منا ، وشباب يرى القدوة فينا » مرحى .. مرحى يا فاروق . فهل هذه هي المعارف التي ستتغذى عليها الاجيال التي تنظر اليك باعتبارك القائد والرائد والمعلم ؟ واذكر الاستاذ فاروق ايضا بكلمة قالها بتاريخ ١٩٧٨/١٠/١٩ : « والملاحظ الآن ان دور النقد في حياتنا يتراجع » نعم يا سيدي وما دام هذا ما تكتبونه ولا ينتقد فان دور النقد يتراجع وان مثل هذه الاخطاء ــ في عهد هؤلاء الكتاب ــ تجعل القارىء يفقد الثقة في جريدة الاهرام ، ويتشكك فيما تقدمه له من آراء ومعلومات .

٤ ــ بين الشاعرين عبد الرحمن شكري وابي الوفا

نسب الاستاذ فتحي سعيد في كتابه « ابو الوفا رحلة الشعر والذكريات » الذي صدر في سلسلة « كتابك » قولا الى الشاعر ابي الوفا ص ٢٥ نصه « وعاصرت عبد الرحمن شكري وهو ليس بشاعر .. » ولا ادري كيف ينكر ابو الوفا شاعرية شكري ، وقد حذا حذوه ، واخذ عنوان احدى قصائده ليجعله شطرا من بيت له . يقول ابو الوفا :

آه يا يوم لقاها ... ليتني كنت (...)

ويقول عبد الرحمن شكري في ديوانه « لآلىء الافكار » الصادر عام ١٩١٣ تحت عنوان « ليتني كنت (...) » :

ليتني كنت في السماء (...) ... نافذ الامر في شئون الوجود

٥ ــ مقال لعبد المنعم شميس مسكون بالاخطاء

- **زواج حافظ ابراهيم :**

قرات المقال الذي كتبه الاستاذ عبد المنعم شميس في مجلة « الكاتب » المصرية عدد ديسمبر ١٩٧٨ تحت عنوان « شخصيات في حياة شوقي » ومما جاء فيه ان « حافظ ابراهيم لم يتزوج » .

وحقيقة الامر ان حافظا تزوج عام ١٩٠٦ من بنت احد الاثرياء هو اسماعيل صبري (ليس هو اسماعيل صبري الشاعر المعروف) وفي عمارة البابلي بشارع خيرت اقيم سرادق الاحتفال بهذا الزواج ويبدو ان الزوجة التي خطبتها له امه لم ترق شاعرنا فقد وصفها بقوله « فتاة ضخمة جهمة ، قد رفعت فوق مقدم راسها نصف دائرة من الشعر الملوي ، وخطت على حاجبيها خطين عريضين تقاطعهما نقطة » ويقول الاستاذ احمد محفوظ « ويدرك حافظ ماله القديم وهروبه دائما من التبعات فيطلق العروس بعد اشهر قليلة ويظل اعزب حتى الموت » (راجع كتاب احمد محفوظ حياة حافظ ابراهيم) وقد تحدث ايضا الدكتور كامل جمعه في كتابه « حافظ ابراهيم ما له وما عليه » عن زواج حافظ واستشهد بما كتبه احمد محفوظ والرافعي وسامي الدهان والزيات في هذا الموضوع ، كما اشار الى زواج حافظ الدكتور عبد الحميد سند الجندي في كتابه « حافظ ابراهيم شاعر النيل » .

- **بين العقاد وطه حسين :**

وجاء في مقاله ان طه حسين « اعلن على الملأ مبايعته للعقاد

اميرا للشعراء » ثم قال : « لعن الله السياسة التي جعلت عبقريا مثل طه حسين يقول كلاما لا يعتقده . وهذه هي آفة السياسة ، ولكنها ليست جديدة عندنا ، فهي آفة معروفة عند كل الشعوب ، وقد عزف بتهوفن سيمفونية لبونابرت الذي غزا بلاده واذل شعبه. كما تقدم جوته الى بونابرت وخضع له وهو شاعر المانيا الاكبر » .

وفي الرد على هذا القول نقول للاستاذ شميس اذا كانت السياسة في الثلاثينات اضطرت طه حسين الى مبايعة العقاد بامارة الشعر ، فهل اضطرته ايضا الى القول « ففي زمن العقاد لم يكن هناك سواه افضل منه » في السبعينات بعد انتهاء الحياة الحزبية وبعد موت العقاد ؟

● بين بتهوفن ونابليون :

اما المثل الذي ضربه بان آفة السياسة اصابت بتهوفن فتملق نابليون بعزف سيمفونية له فهو غير دقيق ، ذلك ان بتهوفن كان من انصار الثورة الفرنسية لذلك وضع سيمفونيته (اوريكا) او السيمفونية الثالثة اعجابا بنابليون قنصل فرنسا الاول ، وعندما علم انه توج نفسه امبراطورا مزق عمله الموسيقي قائلا « هذا رجل مطامع كغيره من الرجال » وبعد فترة زمنية غير في لحنه واطلق عليه « لحن البطولة » ويقول الدكتور حسين فوزي عن هذه السيمفونية في كتابه « الموسيقى السيمفونية » : « كتبها — اي بتهوفن — معجبا ببونابرت » « وكان في نيته ان يرسل مخطوطها باهدائه » وهذا يعني ان بتهوفن لم يضع سيمفونيته تملقا لنابليون . وكيف يصح ان هذا الموسيقي الكبير كان يتملق نابليون بينما قال عنه عندما انتصر في معركة يينا : لو اعرف الحرب كما اعرف الموسيقى لهزمت نابليون .

● بين جوته ونابليون :

اما المثل الآخر الذي ضربه وهو خضوع جوته لنابليون ليبين ان آفة السياسة تضطر العظماء ان يفعلوا ما لا يليق بهم ، فهو ايضا غير دقيق . وحقيقة الامر ان نابليون عندما زار المانيا عام ١٨٠٨ والتقى مع جوته في ارفرت ، اثنى الامبراطور على جوته وامتدحه وقال له : « انت رجل » في رواية كثيرين ، وقد انعم عليه نابليون بوسام الشرف الفرنسي ، ووجه اليه الدعوة لزيارة فرنسا ، لهذا كان معجبا ببونابرت هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يقول العارفون بسيرة جوته انه كان من طبيعته الحرص على ارضاء الحكام حتى الترخص فيبالغ في لقائه بهم ، ويهون من امر نفسه امامهم ، ويقلل من شأنه في حضرتهم ، فاذا كان قد خضع جوته لنابليون فليس هذا آفة السياسة ولكن آفة في جوته نفسه لامها عليه مواطنوه ومن بينهم بتهوفن في احد المواقف ؛ ولم يخضع جوته لنابليون فقط ، بل انه خضع لبعض امراء وطنه وهم دون نابليون صيتا وعظمة وعبقرية .

٦ — غزل الزوج

جرى سجال ادبي نقدي بيني وبين الدكتور محمد رجب البيومي (ابو حسام) على صفحات مجلة الثقافة المصرية حول المقدمة الغزلية لقصيدة « بانت سعاد »(٢) لكعب بن زهير ، وذهب الدكتور الى ان سعاد المشبب بها حبيبة كعب وليست حليلته ، وذهبت (انا) الى انها زوجته مستندا الى روايات بعض السابقين(٣) ، وتعرضت لنظم الجاهلية في الزواج ، وتشعب النقاش الى موضوعات اخرى على نحو ما يرى القارئ في اعداد « الثقافة » ٦٢ ، ٦٤ . واستند الدكتور البيومي او ابو حسام — في ان سعاد حبيبة كعب وليست زوجته — الى ان الحديث عن المواعيد والهجران والآمال وخوف الصد هو حديث الحبيب وليس القرين (انظر عدد ٦١ مجلة الثقافة) وقال الدكتور ايضا ان الغزل في الحبيبة هو اول ما يتجه اليه الظن .. الى آخره (عدد ٦٤ مجلة الثقافة) ولكننا نتساءل اليس في ادبنا العربي زوجة حركت مشاعر زوجها وانطقته شعرا يدللها فيه ، ويلاعبها به ، ويذكر فيه صدها له ؟ وهل كل قصائد التشبيب نظمت في العشاق المعاميد ؟ ان صورة الزوج عند كثيرين هو من يتماسك ولا يتهالك ، ويستوي ولا يتمايل ، ويكف عواطفه قبل ان تجمح ، فلا يظهر غراما او التياعا ، او هو دائم الاحتشام والتوقير ، يتحرج في ذكر حليلته وهيامه بها ، وخوفه من صرمها ، واثر هواها في نفسه ، ولكن طبيعة البشر ليست على حالة واحدة ، فالقلب قلب ، وللزوج في بعض الاحيان من يقظة القلب ، وقوة الحس ما للعاشق الراغب في لذة الوصال ، وسرور اللقاء ، والقصائد الغزلية في ديوان العرب متنوعة ، فهناك غزل المراة لزوجها مثل زوجة مالك بن امية ، وعتاب الزوجة لرجلها مثل زوجة ابي الطمحان القيني ، ولوم القرينة لبعلها مثل قرينة الشاعر العتابي ، وغزل الشاعر في حليلته المطلقة مثل زهير وتكتظ صفحات كثيرة في ادبنا بقصائد الشعر التي قالها شعراء بانت عنهم زوجاتهم ، كما بانت سعاد عن كعب ، او نظمها آخرون في زوجات كن يقمن معهم .

يقول المتوكل الليثي في زوجة له تسمى اميمة وتكنى ام بكر وقد بانت عنه :

طربت وشاقني يا ام بكر ... دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي بخيسا ... اعزي عنك قلبا مستهاما

اليس هذا قريبا من قول كعب :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يجز مكبول

ولا يبدو من ظاهر بيتي المتوكل البين او الفراق ، ولكن من يتأمل جليا يتبين هذا البين في قوله « دعاء حمامة تدعو حماما » فالحمامة الاولى تنادي على الفها الغائب ،

وهو يشير هنا الى اسطورة عربية قديمة مفادها ان فرخا كان على عهد نوح عليه السلام مات ضيعة وعطشا فما من حمامة الا وهي تبكي عليه وتناديه (انظر لسان العرب مادة هدل) وقد صور الشعراء مدى تأثرهم ببكاء الحمام على فروع الشجر وهي تنادي الفها الغائب ، وبقية بيت كعب الذي يصور فيه هواه وجواه قريب من معنى البيت الثاني في قصيدة المتوكل .

وفي عدم الوفاء بالمواعيد يقول كعب :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... ان الاماني والاحلام تضليل

ويقول المتوكل الليثي في نفس المعنى :

ترجيها وقد شحطت نواها ... ومنتك المنى عاما فعاما

ويقول المتوكل ايضا في قصيدة اخرى استهلها بالغزل في زوجته البائنة ثم امتدح حوشبا الشيباني :

اذا وعدتك معروفا لوته ... وعجلت التجرم والمطالا

وكلاهما (كعب والمتوكل) يرغب في قرب الوصال ولكن هذا يبدو بعيدا يقول كعب :

ارجو وآمل ان تدنو مودتها ... وما اخال لدينا منك تنويل

ويقول المتوكل :

فان تصبح امية قد تولت ... وعاد الوصل صرما واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب ... بها وتفرق الحي الحلالا

وفي تلون الزوجة وتقلبها يقول ابو الاسود الدؤلي عن زوجته أم سكن :

الا تلك عرس ام سكن تنكرت ... خلائقها لي والخطوب تقلب

ويقول المتوكل :

ام استبدلت بي ومللت وصلي ... فبوحي لي به ودعي المحالا

وفي نقض العهد يقول ابو الاسود الدؤلي في زوجته فاطمة بنت دعمى :

فان تنقضي العهد الذي كان بيننا ... وتلوي به في ودك المتحلس

وهكذا من يقرا شعر كعب في سعاد وشعر الآخرين في زوجاتهم ، يجد كثيرا من المعاني المتشابهة ، والافكار المتقاربة ، مما يفيد ان الحالة التي مروا بها ، فيها من التشاكل والتداني اكثر مما فيها من الاختلاف والتباعد ، وهذا يعني ان الغزل في الزوجة لم ينفرد به كعب ، فهو موجود في الجاهلية والاسلام فهل نقول بعد ذلك ان حديث الهجر ، وخوف الصد ، ونقض العهد ، وعدم الوفاء بالوعد ، والتلون والتقلب يكون للحبيب ولا يكون للقرين كما يزعم الدكتور البيومي .

وقد خطأني الدكتور على اني استشهدت بما جاء في كتاب الشهرستاني على لسان الكلبي ، ولم احتج برواية البخاري في انواع الزواج في الجاهلية ، وقد اورد الدكتور نظم زواج الجاهلية من صحيح البخاري ، ولكن من يقرا نظم الزواج كما جاءت في الكتابين لا يجد فرقا كبيرا ، ففي كتاب الشهرستاني اربعة اضرب ، وفي صحيح البخاري كذلك ، فالمضمون ليس فيه تزيد كاذب عند الكلبي ، وقد نص الكلبي على نوع الزواج الاول كما نص عليه البخاري اذن فما الجرم ؟ وعلى هذا فالتنبيه على كذب الكلبي في غير موضعه لان الكاتب لم يبين كذب الكلبي في هذا النص بالذات : ومع هذا فتنبيه الدكتور مفيد في عمومه .

وقد تحدث الدكتور البيومي عن انكحة العرب في الجاهلية ، واستشهد بقول الالوسي « ان جميع ما ذكره الشعوبية في شان مناكح العرب وما اوردوه في باب الطعن على انسابهم لا اصل له .. » وكان يجدر بالدكتور ان يناقش هذه الكلمات ثم يلفظها لعدم دقتها ، لا ان يثبتها لمسايرتها وجهة نظره ، والدكتور يعلم قبل غيره ان من مناكح العرب نكاح المقت ، والمقتى هو الذي يتزوج امراة ابيه اذا طلقها او مات عنها وحرمه الاسلام . قال تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء... الآية » وقد اورد ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ص ١١٢ ط المعارف تسمية من خلف على امراة ابيه بعده فليرجع اليه ، وكان هناك زواج « الشغار » وهو ان يتزوج الرجل امراة ما كانت على ان يزوجك اخرى بغير مهر وفي الحديث لا شغار في الاسلام » (انظر مادة شغر ــ لسان العرب) فكيف يصح ان ما يذكر في شان مناكح العرب لا اصل له وقد اثبته القرآن والحديث . والطعن في انساب بعض العرب ايضا ثابت وصحيح . وقد كان عرب الجاهلية يستخدمون القيافة في بعض الاحوال لالحاق الابن المجهول الاب بأبيه عندما تتفق بعض الخواص والاشباه بين الاثنين ، ومهمة القائف ان « يقارب بين الهيئات فيحكم للاقرب صورة » والقيافة « ضرب من ضروب البحث والحاق النظير في الاغلب بنظيره »(٤) والقيافة على هذا نوع من الفراسة قد تصح وتصدق ، وقد تخطىء فتضل لذلك انكر بعض الفقهاء الحكم بالقيافة وقد اورد المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ط دار الرجاء بغداد حكاية عن رجل ذهب الى النبي (ص) واخبره ان زوجته وضعت غلاما وانه اسود فقال له النبي : فهل لك من ابل ؟ قال نعم . قال فما الوانها . قال : حمر . قال : فهل فيها اورق . قال نعم ، قال النبي : فمن اين ذلك لعل عرقا نزع . وهكذا سلم النبي الولد لابيه رغم عدم التشابه ، وقصة زياد بن ابيه شهيرة وقد الحقه معاوية به ليفيد من نكائه ، والقصيدة النونية ليزيد بن مفرغ الحميري فيها غمز لزياد بن ابيه وابنه في نسبهما حيث يقول :

الا ابلغ معاوية بن صخر ... مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف ... وترضى ان يقال أبوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد انها ولدت زيادا ... وصخر من سمية غيردان

وليس معنى هذا اننا ننكر أشراف العرب وساداتهم ، وعرب الجاهلية كانوا اكثر عناية بحفظ انسابهم وللتناصر على الاعداء او للتفاخر بالآباء »(٥) .

وقد قال الدكتور رجب البيومي في رده « وليس من خلقي ان اتصنع الجدل لذات الجدل ولكن تمحيص الحقيقة واجب » وانا اضم صوتي الى صوته ليطمئن القارىء ان

لبنان الجريح

احقا ان (لبنانا) جريح ... يعيش هموم محنته سقيما
وان رياضه عبادت صحاري ... وان جنانه صارت جحيما
وان رواه اضحى نبولا ... وان زهوره امست هشيما
وان سماءه ملئت دخانا ... مخيفا . بعدما ملئت نجوما
وان فضاءه المغمور صحوا ... تلبد من مآسيه غيوما
وان شروقه امسى غروبا ... وعاد نهاره ليلا بهيما
وان صداحه اضحى بكاء ... حزينا ، والكلام به وجوما
وان حصاه يلتهب التهابا ... وكانت تزدهي درا نظيما
وأسراب المها من بعد امن ... تعاني الذعر والخوف الاليما
وان يد الكوارث فيه عاثت ... فما ابقت له الا رسوما
فيا (لبنان) لن ينساك قلب ... وفي يحمل الحب الصميما
اننسى اذ نجيء اليك شوقا ... فنلفي منك مضيافا كريما
وتغمرنا بلطف مستفيض ... فنلقى عندك الخير العميما
نجيء اليك تثقلنا هموم ... فننسى في مغانيك الهموما
رفعت يدي الى الله ابتهالا ... بان تغدو من البلوى سليما
وان نلقاك في امن وسلم ... فننشق عابقا منك النسيما
وان تزهو لياليها جديدا ... بربعك مثلما ازدهرت قديما
وان نحيي بارضك ذكريات ... بها كان السرور لنا نديما
وان نسقى كؤوسك صافيات ... فتغمرنا بها حبا حميما
لئن عظمت بساحتك المآسي ... ستبقى رغمها صلدا عظيما
ويصحو افقك الداجي فتجلو ... نواظرنا محياك الوسيما
وترجع ارضك الفيحاء تزهو ... وان كان المصاب بها جسيما
وعنها تنجلي الارزاء حتى ... يعود شقاؤها الدامي نعيما

بغداد ـــ ص.ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

كلا منا يبحث من جانبه ليوضح الحقيقة وليس بيننا ملاحاة او جدال او عراك يسفر عن قاهر ومقهور ، وانما هو حوار يزكيه حب المعرفة .

٧ ـــ الاطفال آباء الرجال

قال الاستاذ عبد الرحيم ابو ذكرى في مقال له بعنوان « الاطفال آباء الرجال » نشرته مجلة الدوحة عدد يونيه ١٩٧٩ ما نصه « ولا يسعني في الختام غير ان اقول ان اطفال اليوم هم آباء الرجال في المستقبل » .

وقول الاستاذ عبد الرحيم «ولا يسعني غير ان اقول» يعني انه صاحب فكرة ان الاطفال آباء الرجال ، والحقيقة ان هذه العبارة مأخوذة من عبارة شعرية وردت في قصيدة للشاعر الانجليزي وليم ورد زورث عنوانها: The Rainbow قوس قزح ونص العبارة
The Child is the father of the man.

---

(١) ـــ الجزء الثالث من يوميات العقاد ص ٦

(٢) ـــ هناك قصيدة بانت سعاد للنابغة اللبياني :

بانت سعاد وامسى حبلها انصرما ... واحتلت الفور فالاجزاع من اضما

وقال ربيعة بن مقروم :

بانت سعاد فامسى القلب معمودا ... واخلفتك ابنة الحر المواعيدا

(٣) ـــ هجا كعب رسول الله (ص) فقال النبي « من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله » فهرب كعب وطالت غيبته عن زوجته فلما اتى رسول الله معتذرا تغزل بها . هكذا تقول بعض الروايات (انظر مجالس ثعلب ـــ وكتاب « قصيدة بانت سعاد » لابن هشام الانصاري وحاشيته . وقد استنتج الزرقاني من المواهب ان غزل كعب في زوجته) .

(٤) ـــ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي .

(٥) ـــ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج ١

القاهرة — احمد حسين الطماوي



ترفق به جسدا هامدا

الدكتور محمد رجب البيومي

*

ترفق بسيرته في الورى ... الم يكف مرقده في الثرى
الم يكف تحطيم آماله ! ... وكانت تناطح شم الذرى
الم يكف تمزيق اوصاله ... اباديد تذكي اللظى منظرا
عظام كساها الثرى غبرة ... وكادت تذوب فما ان ترى
تلوح بذهني لها صورة ... فاحبس دمعي ان يطفرا
الم تكف حسرته في الضريح ... وقد بات فيه لقى مزدرى
غفا لا بحيث الكرى يشتهى ... ولكن بحيث يهول الكرى
ونام فاغرق في مرقد ... يموج الظلام به ابحرا
له رهبة يتقى هولها ... وتدعو اخا العقل ان يحذرا
تزلزل من خاض في ليلها ... وان كان ضرغامة قسورا
يدك الصباح رواق الدجى . ... وقد فاض مؤتلقا نيرا
ويدعوه في قبره آملا ... فيجفل من حوله القهقرى
وما فر منه لضيق به ... ولكن يحاذر ان يقبرا
ترفق به جسدا هامدا ... تكسر عظما ولن يجبرا
تسوءك ذاته مخبرا ... فكيف اذا انكشفت مظهرا
ترفق به صامتا لا يرد ... عليك تهجمك المتكررا
وهبه اساءك فيما مضى ... اليس من الفضل ان تغفرا
وهبه تجنّى بلا موجب ... اليس من النبل ان تعذرا
ولو ملك اللفظ في صمته ... لاطلق مقوله خنجرا
بلى ربما صرخت روحه ... على البعد تدعوك ان تقصرا

لمن ذعرت منك في أوجها … فعز على الاوج ان تعذرا

وناشدها الصفح عن مجرم … ترى جرمه حدثا أكبرا

وقالت عجبت له عائبا … يسوق الاراجيف مستهترا

اباد الحمام حقود الورى … وأورثه الشرر الاحمرا

تركت الحياة له جانبا ! … وجافيت فردوسها الانضرا

وأدلج بي القبر في ظلمة … سريت بها فاجتويت السرى

وما زلت اسمع ذا غيبة … يصب الهجاء لظى مسعرا

يحط علي ذنوب الورى … وما كنت كسرى ولا قيصرا

قوارص يصغي لها مسمعي … فيخضل جفني مستعبرا

راى الموت يفصل ما بيننا … فصال جريئا كليث الشرى

ولم ير في قومه منصفا … يقول لذي البغي : اطرق كرى

يصغرني باراجيفه … ويرجو بذلك ان يكبرا

ايكبر بالقدح في ميت … فيا منطقا بات هزء الورى

ولو عاش في عالم امثل … لكان من الحتم ان يصغرا

فيا سوءة العقل في معشر … غدا القرد في عرفهم جؤذرا

وطاش الجنون بتقديرهم … فصار الحصى عندهم جوهرا

الم يدر ـ واغفلنا ـ انه … سيسقى المنون وان عمرا

ويقبع مثلي في عالم … بهيم تكاثف فاستحجرا

ويذكره الناس في صمته … بما قد تعود ان يذكرا

قوارص تاتيه اذاعة … فيصرخ كالطفل مستنكرا

قصاص ينفذ في اهله … ويلقى المكيدة من دبرا

فيا من تشفيت من راحل … فاسهبت في ثلبه مكثرا

لبئس تشفيك ما احقرا … وبئس تجنيك ، ما افجرا

زجرتك اذ خضت في ثلبه … وحق لمثلك ان يزجرا

اليس من العيب ان تفتري … ونسكت عن قولك المفترى

ولي قصة طالما اكدت … بليغ العظات لمن فكرا

فبالامس غال الردى ارقما … فغودر منبطحا في الثرى

تروعك ذاته هامدا … وكان العزيز المنيع الذرى

تأملته بددا مهملا … فاثر في النفس ما اثرا

ومن فوقه كاسر قد سطا … وانشب في متنه منسرا

يمزق ما شاء من لحمه … وينقر ما اسطاع ان ينقرا

فطاردته محنقا غاضبا … كانني ارى حدثا اخطرا

لقد هاج نهش الصلال الاسى … بقلبي فزمجر ما زمجرا

فكيف بمن نهش الاصدقاء … ايكرم في الناس أم يزدرى

محمد رجب البيومي

المنصورة

شارع النصر المتفرع من شارع الجلاء

محمود حسن اسماعيل

٢ يونيو ١٩١٠ — ٢٥ ابريل ١٩٧٧

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

مذهبي لا مذهب اليو   م سوى اصداء لحني
ان تسل في الشعر عني   هكذا كنت اغني
هكذا يخفق نايي   بين الهامي وبيني
يلهم الله فيمضي   وتر الروح يغني
مزهري نشوان لا تو   قظه ضجة كوني
مذهبي لا مذهب اليو   م سوى اصداء لحني
قد وهبت الفن عمري   ووهبت الشرق فني

هكذا قال(١) الشاعر محمود حسن اسماعيل ، الذي هزج بالحان المريض ، وغنى للقرية ، وتحدث عن الطبيعة وجمالها وسحرها في اول ديوان اخرجه عام ١٩٣٤ ، وهو « اغاني الكوخ » ، واستمر بعد ذلك يغني للحب والجمال والوطن والحرية والثورة ، في دواوينه التي ظل يكتبها :

- هكذا اغني   (الصادر عام ١٩٣٧)
- اين المفر ؟   (الصادر عام ١٩٤٧)
- نار واصفاد   (الصادر عام ١٩٥٩)
- قاب قوسين   (الصادر عام ١٩٦٤)
- لا بـد   (الصادر عام ١٩٦٦)
- التائهـون   (الصادر عام ١٩٦٨)
- هدير البرزخ   (الصادر عام ١٩٦٩)
- صلاة ورفض   (الصادر عام ١٩٧٠)
- السلام الذي اعرف (الصادر عام ١٩٧٠)
- نهر الحقيقة   (الصادر عام ١٩٧٢)
- موسيقا من السر   (الصادر عام ١٩٧٨)

ولقد كان محمود حسن اسماعيل من ابرز شعراء مصر على مدى اربعين عاما ، لاذ في اولها بمدرسة ابولو ، ثم بمدرسة الديوان ، ثم استقل بمذهبه الشعري الوجداني ، وبصوره الشعرية ذات التجارب العميقة ، وبخياله المتالق والمحلق في آفاق الموهبة والشاعرية والفن ، وهو يغني لوطنه وشعبه وللعرب ، وللحرية والثورة والحياة ، اجمل اغانيه واروعها ، في سيريالية رمزية كثيفة الصور والخيال .

شارك بشعره في ثورة الشباب عام ١٩٣٥ ، وفي ثورة الامة عام ١٩٤٨ وما بعدها ، وفي ثورة الوطن عام ١٩٥٢ . ونظم قصائده في احداث مصر القومية والوطنية من عام ١٩٣٤ حتى وفاته .. يقول في ديوانه « صلاة ورفض » الصادر في القاهرة عام ١٩٧٠ من قصيدة عن القاهرة بعنوان « بنت المعز » :

واستيقظت ورشت الفجر على جبينها
وكبرت وكحلت بنوره عيونها
وضفرت شعورها بالشمس والنخيل
ووشحت ستورها من ذهب الاصيل
واومات والدهر من قبلها يكبر
وموكب الدنيا على اعتابها وجوهر
وكلمت تاريخها يا قاهرة الغزاة

ويخاطب الشعب ثائرا فيقول من ديوانه « هكذا اغني » (الصادر عام ١٩٣٧) :

ابعثوها تصم سمع الليالي   ثورة تضرم السماكين نارا
مات عهد الظلام فلتجعل الثو   رة والموت للجهاد شعارا

ويخاطب « الارض » فيقول في ديوانه « نار واصفاد » (الصادر عام ١٩٥٩) :

بين ذل الثرى ودمع الحفاة   هزت الارض من عميق السبات
نفخ الصور في رباها فقامت   تحصد الظلم في صدور الطغاة
ضرب الله ليلها بضحى البعـ   ـث فضجت قبورها بالحياة

وهذا الديوان مصدر بقصيدة ، منها :

ولما تشاكى القيد حولي وأعولت   من الرق ايامي وضجت سلاسلي
تلفت فانساب الدجى من مزاهري   مزامير ليل عن خطا الفجر غافل

وفيه يتحدث عن البعث ، او ثورة ٢٣ يوليو بقصيدة جميلة ، يبدؤها بقوله يخاطب الجيش :

ما بين طيف الكرى ولمحة البصر   كانت خطاك لهم امضى من القدر

وفي ديوان قاب قوسين (الصادر عام ١٩٦٤) يقول ثائرا يطلب الحرية : .. ..

قاب قوسين من النور فسيري   واهتكي كل لثام في الضمير
وادحري كل ظلام راسب   انشبته فيك اغلال الدهور

ويكتب قصيدته الثائرة « جنازة الرق » التي يقول منها في ارتباط عميق بالقرية :

انا والكوخ والظلام وليل   بجميع الاسرار مدت يداه
وربابي مدندن يشرب الليـ   ـل ، ويسقي من كل لحن دجاه
وخطى الناس لا تسير ، ولكن   نوحها في الطريق يهذي صداه
تتلاقى جنائزا لم يعد فيـ   ـها لوجه الفناء الا رؤاه

ويتحدث عن الكوخ في قصيدته (ساعة مع الكوخ) ، فيقول في مطلع القصيدة من ديوانه « قاب قوسين » (الصادر عام ١٩٦٤) :

سالما تراب الكوخ جئتك زائرا   فاشعلت بالبعث الجديد قيثاري

ويقول عن « قصة الكوخ » في ديوانه « لا بد » (الصادر عام ١٩٦٦) :

غـن للاحرار للشعـ   ـب الذي رد الحياة
ومحا من ارضه الحر   ة اوهام الطغاة
ومضى في موكب الزحـ   ـف الى كل اتجاه
ابناء الحق والعد   ل كما سن الاله

ويقول من قصيدته « اغاني الرق » في ديوانه

---

(١) — من ديوان « هكذا اغني » .

« اين المفر » (الصادر عام ١٩٤٧) :

التيتني بين شباك العذاب ... وقلت لي : غن
وكل ما يشجي حنين الرباب ... ضيعته مني
هذا جناحي صارخ لا يجاب ... في ظلمة السجن
ونشوتي صارت بقايا سراب ... في حانة الجن
اواه يا فني ..
لو لم اعش كالناس فوق التراب !

ويخاطب امة العرب فيقول فيما يقول في ديوانه « قاب قوسين » (١٩٦٤) :

في طريق الشمس عودي واعبدي ... عزة الشرق على وجه الوجود
وازحفي بالنور والنار على ... حشرجات الذل في باقي القيود

وفي هذا الديوان يشعر بالهموم والالام ويتحدث عنها فيقول :

هذه قصة بستا- ... ن بيه كنت عبرت
حاطبا اجمع نبازا ... واسى فيما جمعت
ليس لي فاس ولا حر- ... س ولكنني احتطبت
من ربيع ليس لي في ... ه سوى آني وجدت

وهي ابيات عميقة المدلول النفسي والواقعي لحياة الشاعر وهمومه ، والبيت الاخير صورة رائعة لهذا الضياع والحرمان ، الذي عاش فيه .

وفي ديوان « صلاة ورفض » (الصادر عام ١٩٧٠) تظل الشعلة متوهجة في الهامه ، صلاة من اجل الثار ، ورفض للهزيمة ، في قصائده : غضبة الثار — رفض الهزيمة — جبال الصمود — صوت المعركة — القدس تتكلم — المسجد الصابر ، الذي يخاطبه فيقول :

.. لست في عالم القداسات مجد ... انما انت حالة من مجيد

— والاذان الذبيح — ومصر انشودة الدنيا — واغنية للنيل .

وهكذا نجد الشاعر محمود حسن اسماعيل صوتا ملهما ، طيلة حياته ، يطلب الحرية ، ويدافع عنها بكل ما يملك من طاقة ، لقد عاش ثائرا مع الثوار ، أبيا في موكب الاحرار ، يتكلم ويترنم ويتالم من اجل الوطن والكوخ والدار ، يتحدث عن العدل والحق اللذين اغتالتهما من قبل ومن بعد ايدي الاستعمار واذناب الاستعمار .

ومحمود حسن اسماعيل من جيل الثائرين ، الذين عاصروا كفاح الشعب ونضاله للاستعمار والاقطاع والرق البشري الذي لا حد لبشاعته ، وفيه عزة المصري الاصيل ، وشموخ الريفي الحر الابي ، حيث أنحدر من قريته النخيلة في الصعيد الى القاهرة ، كما انحدر الشابي من توزر الى تونس ، والتيجاني من القرى المطيفة بأم درمان الى عاصمة المهدية ، يخاطب مصر وطنه في قصيدته « جبال الصمود » من ديوانه « صلاة ورفض » ، فيقول :

انت من جبهتي خلقت ومن اع ... ماق ذاتي حشدت كل جلالك

وهو في شموخه ابن الريف والنيل : وابن مصر التي اختارت ان يمثلها ابو الهول في كبريائه وشموخه وصموده على مدى الاجيال ، وقد كان شاعرنا ندا للعقاد في هذا الكبرياء المتعالي ، الذي لا يذل ابدا .

على انه عاش مع احداث وطنه ، ومع آلام نفسه ، متفائلا شديد التفاؤل ، كما نراه في قصائده : « الضباب الاخضر » ، و « الطريق » ، و « الامل » ، و « الابتسام » ، و « النهر » .

ففي القصيدة الاولى يعلن استمراره في استقبال الحياة والهتاف لها بكل لحن جديد :

دعوني اغني
فان الغناء طريقي الى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحياة
واستل اعماقها للوجود
ومهما سرى قبلي السائرون
فاني على كل خطو جديد

وفي القصيدة الثانية « الطريق » يعلن عن تفاؤله البعيد وامله العنيد ، فيقول :

طريقي امل
وخطوي امل
وكل دروبي امل
اذا لاح لي الشوك ابصرت فيه الزهور
واقداحها وهي بالعطر حولي تدور
فان كان شوك مضيت
وان كان عطر مضيت
وتمضي خطا الروح بين الحريق
ولا بد امضي ويمضي طريقي

وفي القصيد ةالثالثة « امل » يقول كذلك ايضا :

وجودي امل
وعمري امل
وكل حياتي امل
ومهما تكن خافيات الأجل
فاني امل
خلقت لأنسج من كل موت حياة
ومن كل امس غدا واثبا في خطاه
ومن كل ليل ضياء
ومن كل دمع صفاء

وفي القصيدة الرابعة « الابتسام » يقول كذلك :

تبسمي امل
وحيرتي امل
ونظرتي ما لمحت الا تبسم الامل

وفي القصيدة الاخيرة « النهر » يقول :

سكونه حياة

ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة

كما يقول في قصيدة اخرى عن الارض ، ارض وطنه :

ارضي ــ وما اقدسها ــ حياة
ترابها حياة
وماؤها حياة
وعشبها حياة
نسيجها قبل
وأفقها أمل

ويقول ايضا عن نفسه من ديوان « نهر الحقيقة » ايضا :

وجودي حقيقة
وذاتي حقيقة
واني على الارض طير يغني حقيقة
ونور الحقيقة سر الحياة وسر الامل

وهكذا ، عاش يغني للحرية والثورة والحياة والامل طيلة حياته ، وكما قال في ديوانه « صلاة ورفض » :

سأشدو
سأشدو
وشدوي اعاصير رفض وثار تمور

وفي قصيدته « على ذراع الريح » من ديوانه « قاب قوسين » ، يعلن انه سيظل نارا على الدروب ، على الرغم مما يعيش فيه من قلق شديد . صورة من مطلع القصيدة :

على ذراع الريح
لي مخدع مريح

هذا هو الشاعر الخالد ، محمود حسن اسماعيل ،

الذي قال عنه الدكتور مندور : انــه عاصفة في طاقته الشعرية الفريدة ، والذي ينوه بشعره وشاعريته كـل النقاد ، وفي مقدمتهم السحرتي في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » .

ولقد عرف الشاعر اول ما عرف على صفحات مجلة ابولو ، وفي ندواتها وحلقاتها الشعرية..، ثم اخذ من كل المذاهب : من مطران ، ومدرسة الديوان ، ومن شوقي ، ومن المهجريين ، كما اخذ من ابي تمام والمتنبي والشريف الرضي ، وخرج صاحب طاقة شعرية رهيبة ، يملك اللغة ، ويملك الموهبة ، ويملك التصوير والخيال والتجربة والثروة الشاعرة ، ويعنى بصوره الرمزية العميقة ، وبالتجسيم والتشخيص ، ويستمد صوره الثرة من خيوط الطبيعة في الريف المصري ، الذي احبه ، وهام به ، وغنى له .

وفي قصيدته « بحيرة النسيان » يقول مــن ديوانه « هكذا اغني » :

رقرقت في دمي ورفت على الرو ح ، وذابت بحيرة النسيان
عندها قـد نسيت ذاتي وحسي وزمانـي وعبئــه ومكانــي
ونسيت النسيان حتــى كانــي مجســة في خواطــر الاكفــان

ولقد عاش الشاعر محافظا على الاصالة والعمودية ، ومع تجديده الذي كان يقارب فيــه بين شعره والشعر الجديد ، نجده محتفظا بموسيقاه ، يقول :

« لــم يقل احد ان الشعر في اعلى حدود التطور والتحرر والابداع ، يكون متخليا عن خصائص اساسية تلازمه ملازمة الشيء لذاته ، والتحرر من الموسيقى إسقاط نهائي لصفة الشعر » .

وطيلة حياته ، لم يكن يقلد احداً ، ولم يحب أن يعيش تحت ظلال مذهب بعينه ، او مدرسة فنية بذاتها ، لانه كان لا يريد ان يخضع شعره لقالب خاص ، ولا لمدرسة محددة ، بل الشعر عنده هو الوجود كله ، وابعد حدود الآفاق عامة .

وكان الشاعر في مطالع حياته الشعرية ينتابه بين الحين والحين فترات يأس وحزن عميق ، لانه لا يجد من يقدر موهبته ، فيثور ، ويثور حتى على وطنه مصر ، مهد النبوغ ، ومهد الحرب على النبوغ ، فيقول من قصيدته في رثاء مصطفى صادق الرافعي ، من ديوانه «هكذا اغني» :

لــم يطــب للنبوغ فيـك مقام لا عليــك الغداة منــي سلام
المنــارات تنطفــي بــين كنيــ ك ، ويزهــو بشاطئيك الظلام
قـد زعيت الجميل في كل شيء غير مــا احسنت بــه الاقلام

ولم يقدر لمحمود حسن اسماعيل ان يلقى في حياته تكريما ولا اعترافا بنبوغه وشاعريته ، وموهبته الخلاقة . ولكنه عاش ، بعدما مات ، متوجا باكاليل المجد والخلود .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٣٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبـي	٥ دراهم
قطـر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمـن	٥ ريالات
عـدن	٥٠٠ فلس
مصـر	٣٠٠ مليم
ليبيـا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

خس وزن نزار ، أو خس نزار

ويظنون ان قولنا : خس وزن نزار ، هو من اقوال العامة ، لان محيط المحيط قال ان العامة تستعمل خس بمعنى نقص ، ولان الصحاح ، والاساس ، والمختار ، والقاموس اهملوا ذكر الفعل : خس الشيء بمعنى : خف وزنه .

ولكن :

ذكر اللسان ، والمصباح ، والمد ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ان معنى : خس الشيء هو : خف وزنه فلم يعادل ما يقابله . وفعله : خس وزنه يخس (بكسر الخاء) خسا .

ومن معاني الفعل خس :

(١) خس الحظ : قل . أخس (بتضعيف السين) الحظ : قلله .

(٢) خس نصيب (بفتح الباء) فلان : جعله خسيسا دنيئا حقيرا .

وفعله هو : خس فلان يخس (من بابي ضرب وتعب) خسه (بكسر فتضعيف) ، وخساسة ، وخسوسا : حقر ، فهو خسيس ، وهم أخساء وخساس ، وهي خسيسة وهن خسائس .

خسف القمر ، انخسف القمر
خسف الله القمر ، خسف (بضم فكسر) القمر

ويخطئون من يقول : انخسف القمر ، اي احتجب وذهب ضوؤه ، ويقولون ان الصواب هو :

(١) خسف (بفتح السين) القمر (بضم الراء) : اعتمادا على قوله تعالى في الآية الثامنة من سورة القيامة : (وخسف القمر) ، وعلى معجم الفاظ القرآن الكريم ، وثعلب ، والصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) خسف (بفتح السين) الله القمر ، او خسف (بضم فكسر) القمر : مفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والتاج ، والمد ، والمتن .

ولكن :

اجاز (انخسف القمر) : ابن الاثير في النهاية ، واللسان ، والتاج في مادة (كسف) ، ومحيط المحيط الذي اكتفى بالاستشهاد بقول الشاعر :

يبمنك ما لو اصاب الارض لارتعدت ، والشمس لانكسفت ، والبدر لانخسفا

وفعله : خسف يخسف خسفا (من باب ضرب) ، وخسوفا . وفي الحديث « ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ، ولا لحياته » .

وقال ابن الاثير : « قد ورد الخسوف في الحديث كثيرا للشمس ، والمعروف لها في اللغة الكسوف لا الخسوف . فاما اطلاقه في مثل هذا فتغليبا للقمر ، لتذكيره ، على تانيث الشمس ، فجمع بينهما فيما يخص القمر » .

خش في الشيء

ويظنون ان جملة (خش في الشيء) ، بمعنى : دخل فيه ، هي جملة مصرية عامية ، لان المختار والمصباح اهملا ذكرها .

ولكن :

جاء في النهاية ، في حديث عبدالله بن أنيس (بضم ففتح فسكون) : « فخرج رجل يمشي حتى خش فيهم » اي : دخل .

ومنه الحديث : « خشوا (بضم الخاء) بين كلامكم : لا اله الا الله » . اي : ادخلوا .

وقال ان معنى خش في الشيء : دخل فيه : الصحاح الذي روى بيت زهير بن ابي سلمى :

وراى العيون ، وقد ولى تقريبها ، ظماى فخش بها خلال الفدفد

واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (دخل فيه وغاب) ، والوسيط .

ويقول الزجاج : اخشيت لغة في خششت (بفتح الشين الاولى) . وجاء في معجم مقاييس اللغة : « الخاء والشين اصل واحد ، وهو الولوج والدخول . يقال : خش الرجل في الشر : دخل » .

وجاء في تذكرة علي في المنطق العربي ، نقلا عن كتاب « افعال » لابن القوطية الاندلسي : « خش في الشيء : دخل ، وخش الشيء (بفتح الهمزة) في غيره : ادخله » .

واكتفى الاساس بذكر : انخش في القوم .

ويقول المتن : خشه (بتضعيف الشين) مثل : خش فيه . ولم يذكرها بهذا المعنى سواه . لقد عثر المتن هنا ، لان مستدرك التاج والمد قالا ان معنى خشه (بتضعيف الشين) : طعنه .

اما فعله فهو : خش في الشيء يخش (من باب نصر) خشا ، وانخش وخشخش : دخل .

خشوا ، بقوا (بضم الشين والقاف)
نهوا، سروا (بضم الهاء والراء) دنوا رموا (بفتح النون والميم)

ويقولون : الطلاب خشوا (بفتح الشين) كثرة الامطار فبتوا (بفتح القاف) في المدرسة . والصواب : الطلاب خشوا (بضم الشين) كثرة الامطار فبقوا في المدرسة (بضم القاف) ، لان الفعلين (خشي وبقي) هما ناقصان يائيان ، يضم فيهما الحرف السابق لحرف العلة ، الذي يحذف قبل ان تسند واو الجماعة الى الفعل .

ويحدث مثل ذلك للناقص الواوي ، فنقول : نهو (بفتح فضم ففتح) ومعناه صار متناهيا في العقل : نهوا (بفتح فضم) ، وسرو (بفتح فضم ففتح) ومعناه شرف (بفتح فضم) : سروا (بفتح فضم) .

اما اذا كان حرف العلة في الفعل الناقص الفا ، فاننا نحذف الالف ، ونسند اليه واو الجماعة ، ونفتح ما قبلها . نحو : دنا : دنوا (بفتح النون وسكون الواو) ، ورمى : رموا (بفتح الميم وسكون الواو) .

ان كثرة عثرات المذيعين وخطباء المنابر والشاشات الصغيرة ، عند استعمالهم امثال هذه الافعال ، هي التي حملتني على ايرادها في هذا المعجم ، مع قليل مثلها من المواد ، التي لا يخفى الصواب فيها على ابنائنا الكبار .

كتابي اشد اختصارا من كتابك

ويقولون : كتابي اخصر من كتابك . والصواب : كتابي اشد اختصارا من كتابك ، لان احد الشروط ، التي يجب ان يحوزها الفعل لكي يصح صوغ اسم التفضيل منه على وزن (افعل) ، هو ان يكون ثلاثيا . وليس في المعجمات خصر الكلام او المقال ، بمعنى : حذف الفضول منه ، بل فيها اختصر الكلام او المقال .

ويتوصل الى التفضيل من الفعل غير الثلاثي بذكر مصدره منصوبا على التمييز بعد اشد ، او اكثر ، او اعظم ، او شبهها .

اما الفعل (خصر) فمن معانيه :

(أ) خصره يخصره خصرا (من باب نصر) : ضرب خاصرته .

(ب) خصر يخصر (من باب فرح) خصرا (بفتح الصاد) :

(١) برد او اشتد برده .

(٢) آلمه البرد في اطرافه .

(ج) خصر (بضم فكسر) فلان : اصيب خصره فهو مخصور .

امور مخصوصة بالدرس لا خاصة به

ويقولون : عندنا امور كثيرة خاصة بالدرس . والصواب : مخصوصة بالدرس ، لاننا نحن الذين نخصها بدراسة عناصرها عنصرا بعد آخر ، وليست هي التي تخص نفسها بالدراسة والبحث والتقويم .

ياسر اخصائي في الذرة
او متخصص فيها ، او مختص فيها

ويقولون : ياسر اخصائي (بفتح فكسر فتضعيف) في الذرة ، والصواب : ياسر اخصائي (بكسر فسكون) فيها ، اذ جاء في المتن : أخصى (بفتح فسكون ففتح) الرجل : تعلم علما واحدا (مجاز) . وهذا ما قاله الصاغاني ، والفيروزابادي، والزبيدي ، والمد . ...

ومصدر اخصى هو اخصاء (بكسر فسكون) ، والنسبة الى المصدر لا نزاع فيها .

ونستطيع ان نأتي باسم الفاعل من الفعل (اخصى) ، ونقول : هو مخص (بضم فسكون) . ولكن كلمة اخصائي (بكسر فسكون) أحسن وقعا في السمع ، ولا تفسح مجالا للالتباس .

ويجوز ان نقول : هو متخصص في كذا ، اذ جاء في الوسيط : تخصص في علم كذا : قصر عليه بحثه وانفرد به .

ونستطيع ان نقول ايضا : هو مختص بكذا ، لان معنى اختص بالشيء : انفرد به .

فعلت هذا خاصا بك

ويقولون : فعلت هذا خصيصا لك ، والصواب : خاصا (بتضعيف الصاد) بك ، او خصيصى (بكسر ، فكسر مضعف ففتح الصاد الثانية) ، او خصا (بفتح فتضعيف) ، او خصوصا .

وقد اخطأ ابو الرقعمق (بتضعيف ففتح فسكون ففتح) في استعماله خصيصا ، حين قال :

امحابنا قصدوا الصبوح بسحرة وأتى رسولهم الي خصيصا
قالوا : اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا

الخصلة (بفتح الخاء وضمها)

ويقولون : الكذب خصلة (بضم الخاء) ذميمة ، والصواب : خصلة (بفتح الخاء) ذميمة . والخصلة (بفتح الخاء) : خلق في الانسان يكون فضيلة أو رذيلة . وفي الحديث : « كانت فيه خصلة (بفتح الخاء) من خصال النفاق » .

وممن ذكر الخصلة (بفتح الخاء) : التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والاساس (مجاز) ، والصاغاني ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وغلبت (بضم فكسر مضعف) الخصلة (بفتح الخاء) على الفضيلة .

وتجمع الخصلة (بالفتح) على : خصال (بكسر

الخاء) وخصلات (بفتح ففتح) . وجمع الخصال هو خصائل .

اما الخصلة (بضم الخاء) فهي الشعر المجتمع كما يقول الليث بن سعد ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتجمع الخصلة (بالضم) على : خصل (بضم ففتح) .

الخطابة (بفتح الخاء وكسرها)

ويخطئون من يقول : فلان يحترف الخطابة (بكسر الخاء) ، ويقولون ان الصواب هو الخطابة (بفتحها) ، لانها احد مصدري الفعل خطب . ولكن :

ما افاد معنى الحرفة والصناعة يصاغ على (فعالة) (بكسر الفاء) ، مثل : النجارة ، والحدادة ، والصياغة ، حرف النجار والحداد والصباغ .

وهذا يحملنا على ان نقول : فلان يحترف خطابة (بكسر الخاء) المساجد ، اي ان الخطابة هي حرفته .

امـــا اذا اردنا أن نقول : فلان اقدر في الخطابة (بفتح الخاء) من فلان ، فاننا نفتح الخاء ، لان كلمة الخطابة هنا تعني اجادة القاء الخطبة .

هذا هو راي الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « عثرات الاقلام في اللغة » .

هي خطيبته ، وخطبته (بكسر الخاء) ، وخطبته (بضمها) ، وخطبه (بكسرها) ، وخطيباه (بكسر فكسر مضعف) ، وخطيبته (بكسر فكسر مضعف)

ويخطئون من يقول : فلانة خطيبة فلان ، ويقولون ان الصواب هو كما جاء في متن اللغة : فلانة خطبة (بكسر فسكون) ، وخطيباه وخطيبته (وكلاهما بكسر فكسر فسكون) ، وخطيباه وخطيبته (وكلاهما بكسر مفسر مضعف) .

جاء في الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وافق على اطلاق كلمة الخطيبة (بفتح فكسر) على الفتاة المخطوبة .

ولم يذكر الوسيط مـــن مترادفات الخطيبة سوى الخطب والخطبة (بكسر الاول وتسكين الثاني فيهما) . ويكتفي بذكر جمع : الخطب (بكسر فسكون) على اخطاب (بفتح فسكون) .

المريض مخطر (بضم فسكون فكسر) لا خطر (بفتح فكسر)

ويقولون : ان فلانا المريض خطر (بفتح فكسر) ، والصواب : هو على خطر (بفتح ففتح) عظيم ، اي على شفا هلكة : كما يقول الاساس والتاج ، او هو مخطر (بضم فسكون فكسر) ، كما يقول المصباح ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد . وقد قال الاولان : « بادية مخطرة (بضم فسكون فكسر) : كانها اخطرت المسافر فجعلته خطرا (بفتح ففتح) ، اي : (رهانا) بين السلامة والتلف » .

وقال الاخيران : « اخطر (بفتح فسكون ففتح) المريض : دخل في الخطر فهو مخطر » .

وقال الاساس ، والتاج ، والمد ، والمتن ان معنى جملة (اخطر (بفتح فسكون ففتح) بنفســه) هو : القاها في الهلكة (بفتح ففتح) .

اما كلمة الخطر (بفتح فكسر) فمعناها : المتبختر كما يقول التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد الوسيط بقوله : اخطر (بفتح فسكون ففتح) المرض (بضم الضاد) فلانا : جعله بين السلامة والتلف ، فهو مخطر (بضم فسكون فكسر) . وهذا جائز مجازا .

حضر (ما) يقرب من عشرين ، وتخلف (ما) يزيد على اربعين

ويخطئون من يستعمل (ما) للدلالة على العاقل في قولهم : حضر ما يقرب من عشرين طالبا .

ولكـــن :

جاء في الجزء الثاني من المجلد ٥١ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (نيسان ١٩٧٦) ، ما ياتي :

« كان قرار لجنة الالفاظ والاساليب ، المحال على المؤتمر من قبل مجلس المجمع يتضمن :

« يشيع هذا الاسلوب في كتابات المعاصرين ، وهو ما يعترض عليه بأن (ما) في الجملتين اللتين تتصدران هذا البحث هي للعاقل ، على حين ان الشائع في استعمال (ما) أن تكون لغير العاقل . وقد درست اللجنة هذا ، وانتهت الى قبول الاسلوب بالادلة الآتية :

الاول : أن النحاة يجيزون استعمال (ما) للعاقل على سبيل الندرة .

الثاني : (وهو افضل من الاول في راي اللجنة) ان (ما) في التعبيرين نكرة موصوفة ، معناها هنا : عدد ، ويكون المعنى حينئذ : حضر عدد يقرب من كذا او يزيد عليه . ومثله ما جاء في القرآن الكريم في الآية السادسة من سورة الانعام ، اذ يرى جمهور المفسرين ان (ما) الموصولة صفة لغير عاقل ، والتقدير : حضر العدد الذي يقرب او يزيد من كذا . « ولهذا كله ترى اللجنة اجازة هذا الاسلوب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون » .

ثم وافق المؤتمرون على اجازة هذا الاسلوب ، وذلك في الدورة ٤٢ ، لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المنعقد في المدة الواقعة بين ٢٣ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٧٦ م ، وتاريخ ٧ ربيع الاول ١٣٩٦ هـ ، الموافق ٨ آذار ١٩٧٦ م .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢

محمد العدناني

الطود الشامخ

الى روح البطريرك الياس الرابع

زكي قنصل

*

لست ادري ، وقد نعاه البريد ... كيف يبكي على القريب البعيد
انا من مات منذ فارقت اهلي ... قد تساوى محنط وشريد
وينح قلبي ، قست عليه الليالي ... وهو راض بما يلاقي ، سعيد
الف النار ، فهي برد عليه ... كلما مات وقدها يستعيد
يحتفي بالهموم ... ما انجاب هم ... عنه الا تلاه هم جديد
ايها الخافق المقيم بصدري ... انت في معزف الحياة نشيد
ما انتفاعي بومضة من رجاء ... ما انتفاعي ، والليل داج شديد
تحتويني متاهة تلو اخرى ... انا ما بينها شريد طريد
لكاني والدهر ذئب وشاة ... او كانا حرارة وجليد
يا خليلي صبت الى الدار نفسي ... هل يبل الغليل عود حميد
طال هجراننا واوشك يخبو ... امل في الضلوع واه خضيد
قد قضينا سحابة العمر سعيا ... اجنينا من سعينا ما نريد
قل لمن عابنا لعفة نفس ... لا يسب الاحرار الا العبيد

يا عميدا مضى وخلف دنيا ... من اياد شذية لا تبيد
رب يوم على البسيطة باك ... هو في عالم الملائك عيد
ما اجتمعنا لكي نصوغ المراثي ... يبطل القول حين يحكي «الرشيد»(١)
بل اتيناك حائرين عطاشى ... فاهدنا الدرب وارونا يا عميد
طف على القوم بالرحيق المصفى ... علنا نستفيق او نستعيد
شغلتنا عن العلى ترهات ... بعضها شائخ وبعض وليد
غيرنا للعلى يسير حثيثا ... وخطانا زحف اليها وئيد
كل دين الى المحبة يدعو ... فعلام التاكيد والتفنيد
قال ربي أن العباد عيالي ... صدق الله وهو نعم الشهيد
خذ بايدي الخراف واكرز عليهم ... ان عقبى الخمول موت اكيد
اين كالفجر طلعة تملأ ... النفس ، وصوت كانه التغريد

اين فكر ضياؤه ليس يخبو   وبيان داني المجاني فريد
ولسان طلق يثور على الضيم   ورأي على الخطوب سديد
اصحيح ان التراب طواها   ومشى فوقها القضاء المبيد
يا شهيد الجهاد يبكيك شعب   ولئن قيل ليس يبكى الشهيد
كيف يرثيك في خلودك فان   ليس يبدي في قوله او يعيد
كم فقيد يعيش في حرم الذكرى   وحي يعيش وهو فقيد
لا اقول البلاد مادت ولكن   ماد قلبي وما يزال يميد
كنت للناس ... لم تميز قويا   من ضعيف ، ولم يرعك وعيد
كلهم في شريعة الله اهل   لا طريف في اصلهم او تليد
كيف تنساك امة انت فيها   علم خافق وركن وطيد
تزرع الحب بينها والتآخي   وتدك الشقاق وهو عهيد
كيف تنساك بيعة انت فيها   قائد زاهد وراع رشيد
ان غفت عينها فعينك يقظى   او وهى مجدها فانت تشيد
كيف تنسى قضية الحق سيفا   مضريا يهزه صنديد
خاض من اجلها المكاره تترى   وانثنى من نبالها يستزيد
الرئيس العنيد كابد منه   نبرة الصدق فاعترف يا عنيد(٢)
اهو الطود شامخا يتحدى   ام هو البطرك الحمي النجيد
يا عميدي عاب الخنافس شعري   وادعوا ان آفتي التقليد
قلت يا قوم لن الوم غرابا   اوهموه بانه غريد
خدعته صحافة تدمن التهريج   لكنه بغيض بليد
تحتفي بالجديد او تدعيه   لتغطي هوانها فيزيد
قد يكون التطبيل فنا ، ولكن   اغلب الظن انسه لا يفيد
ان بين الدعي والمعي قربى   مثلما تجمع الزواحف بيد
انا في النور فليعربد سفيه   وعلى الرشد فليثر عربيد
قد بلوت التجديد شعرا ونثرا   فاذا كل هجنة تجديد
لا رعى الله بدعة تتحدى   ما بنى الجد ثم ارسى الحفيد
سوف يمضي هذا الهباب ، ويبقى   ادب الصدق واللسان المجيد
زلزل الرزء يا عميدي كياني   فنصيبي من البيان زهيد
عبثا انشد العزاء ، وارجو   لو نفى نعية البريد البريد
لا تلمني اذا عثرت ، فاني   شاعر في الرثاء لست اجيد
تخنق الغصة المتية صوتي   فاذا قلت خانني التجويد
انا من يحفظ الجميل ويرعاه   وعن منهج الندى لا احيد
اصدقائي على المدى اصدقائي   قولهم عندي الجمان النضيد
كان في بردتي « لبيد » ولكن   مات في مصرع الرجاء لبيد
لم تدع مني النوائب الا   بعض قلب ... وذاك نعم الرصيد

---

(١) ـ هارون الرشيد . (٢) ـ كان الفقيد قد قابل الرئيس الاميركي جيمي كارتر وعاب عليه انحيازه الى جانب الصهيونية على حساب الحق العربي .

بوانس ايرس ـ الارجنتين   زكي قنصل

الموقف والحاجة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

اتجه(١) علم نفس الصيغة ، في دراسة الوقائع النفسية وجهة حركية ، واعتبرها افعالا للنشاط النفسي ، وان حركيتها ، الديناميسم ، هي صيغتها ، الجشكلت ، التي تحدد توزعها ، ووظيفتها .

لقد اعتبر الصيغيون ان الحسي والحركي يؤلفان جهازا واحدا .. وان حركية الاستجابة ترتبط مباشرة بحركية المجال .. وان (الاستجابة) تحدد بما هي تحدثه كفعل ، وخاصة عن طريق غايتها التي تتجه اليها .

الاستجابات الغريزية

ان الصيغة النفسية ، في نظرهم ، بمثابة اتزان يكون فيه فض التوترات المتولدة من الاثارة .. وفي دراستها يجب المحافظة على وحدتها ، وكليتها ، واستبعاد التفسير الآلي الذي كانت تفسر به الافعال المنعكسة .

ولذلك اخذوا يدرسون الاستجابات المسماة بالغريزية ، والتي كانت تعتبر سلاسل من افعال منعكسة ، من زاوية جديدة ، هي ان اي فعل للنشاط النفسي مرتبط بصيغة تتسلسل في الزمان ، ويتوقف بعضها على بعض .

الاهمية اصبحت في نظرهم للكل ، كوحدة حقيقية ، تتم تباعا ، تتساند اجزاؤها ، ومراحلها .. وبذلك اصبحت (الغاية) التي يهدف اليها الفعل ، او نتيجة عملياته(٢) ، هي السبب في فض التوترات المتولدة من المثيرات الخاصة بالغريزة .

واتجه بحثنا الى الممارسة الحالية للوظيفة ، واصلها عند الفرد ، او في النوع ، وقد كان الآليون يعتبرونها توفيقا آليا ، يعود الى الصدفة(٣) .. في حين اصبح من الممكن الآن معالجتها ، وحلها على مستويات متعددة ، صيغية ، وغائية ، ومواقفية(٤) .

لقد رفض الصيغيون فكرة (فاعلية الصدفة) في السلوك ، وتكيفه .. وصاروا يبرزون الخصائص الباطنية لكل من الفعل ، والموقف ، ويظهرون ما بينهما من علاقات صيغية ، واعتبروا (التكيف) تناغما بين الافعال والمجال الحيوي ، اي الحياة نفسها(٥) .

اصل الوظيفة والعمليات الحيوية

وفي كتابه : — علم نفس الصيغة — ، يرى بول جبيوم ان النظرية الصيغية تعتبر ان اصل الوظيفة (بنية) عملية وطبيعية ، فيزيائية ، هي مجردة من كل ما هو عرضي ، لانها ليست غير تعبير عن قوانين حركية(٦) .

ويضيف بول جبيوم الى ذلك ، ان هذه (البنية) تكشف لنا عن وحدة الوقائع الحيوية ... اذ أنها تدخل في التصور الفيزيائي للطبيعة ، العمليات التي تتمخض ، في الكائنات الحية ، عن تكيفات جديدة(٧) .

وكورت ليفين يميز بين نمطين من العمليات الحيوية ، الاول : عمليات من نمط ادراك — استجابة ، والثاني : عمليات من نمط ينطوي على الحاجات .. وكلاهما يعودان الى التنظيم الصيغي ، ثرائه ، او تعقده .

لقد اعتبر كورت ليفين ان استشعار (الحاجة) ، في الكائن الحي ، الحيوان او الانسان ، تقابلـه خاصية (النداء) في الاشياء .. ويقال لهذه الخاصية ايضا : الجاذبية ، او المطالبة .

فهناك تبادل بين احاسيس ، ومشاعر الكائن الحي ، والخصائص الوجدانية التي للاشياء في المجال الحياتي الواقعي .. وسيان القول ، ان الكائن الحي يرغب في الطعام ، او انه يستسلم لنداء الطعام .

والتعقيد اشد في الانفعال ، وآثارها ، والتي تغير في حالة الشخص نفسه .. وابسط الامثلة عليها (ارضاء الحاجة) ، وما يتمخض عنها من تغير القيم الوقتية للاشياء ، وايضا تغير ترتيب المجال نفسه(٨) .

الحاجة ، وقيمة النشاط

ان قيمة النشاط تتوقف على (حاجة) الشخص في فترة معينة ، ثم على طبيعة العمل الذي يريد ان يعمله .. فهناك صلة وثيقة بين الحاجة ، والقيمة الايجابية او السلبية لانواع النشاط(٩) .

مثال ذلك ، انه في التردد بين العمل والبطالة ، او الدراسة والذهاب الى المقهى ، يكون للجوع ، والخوف ، غريزيا(١٠) ، الكلمة الفاصلة في النشاط .

(القيمة) الايجابية او السلبية للفعل ، اذن ، تعبر عن الحاجة .. بحيث يمكن ان نقول ان الفعل اذا كانت له في نظر الشخص قيمة ايجابية ، فهو مطابق لحاجته ، واذا كانت له قيمة سلبية فهو يتنافى مع هذه الحاجة .

وفي نظر كورت ليفين ، كما رأينا ، هناك (نداء) تنادينا به الاشياء ، او جاذبية تجتذبنا بها اليها .. وآنئذ تكون لهذه الاشياء قيمة ايجابية بالنسبة لنا .. وهذا معناه ان الاستهلاك في ارضاء الحاجة مرتبط بالقيمة .

ولكن هناك فرق بين (القيمة) ، و (الارضاء) ..

اذ هناك انواع من النشاط لا صلة لها مباشرة بارضاء الحاجة .. وايجابية النية لا تتعلق دائما بالاستهلاك ، او ارضاء الحاجة .

الفعل البديل

واذا عجز الشخص عن ارضاء الحاجة ارضاء ملائما لطبيعته ، فانه يبحث عن ارضاء بديل .. وقد نوه (بول جييوم) بأن مدرسة كورت ليفين اهتمت بسيكولوجية الفعل البديل(١١) .

كما انه نوه بالعديد من التجارب التي قامت بها في تبين صلة الفعل البديل بمستويات الشخصية ، او بمسارات السلوك .. وسوف نعرض تباعا لأهم تجاربهم في ذلك .

المهم ان نذكر ان (كورت ليفين) يقيم معنى الاستبدال ، ليس على اساس الشبه بين نشاطين ، احدهما اصلي ، والآخر بديل ، وانما على اساس وظيفي ، هو قيمة النشاط نفسه في ارضاء الحاجات .

ناهيك بأن كورت ليفين يتحدث عن ما يسميه بشبه الحاجة ، كازي نيد ، والتي تماثل في آثارها الحاجة الحقيقية ، ولكنها تتميز عنها بكونها تتولد عن التجريب ، وهي في نظره متفرعة عن الحاجة الاصلية ، او نتيجة مجموعة حاجات(١٢) .

وتظهر تجربة ليفين المسماة بتجربة (مستوى الطموح) اثر الحاجات في البناء الادراكي للحاضر ، وايضا للماضي ، والمستقبل ، وتقوم في الاساس على ارضاء الحاجة باستئناف الفعل ، او بفعل بديل .

ليفين ومستوى الطموح

قوام التجربة اقتراح المجرب مهام يرتضيها الشخص(١٣) . فمع الاستئناف يتابع الشخص عمله ، لانه لم يصل الى هدفه المطلوب ، وهذا يعني ان ارضاء الحاجة اثر في السلوك آنيا .

وفي قول (الكذب) يغير الشخص الماضي ، كي يلائم حاجاته .. وكذلك الامر في احوال التبرير ، والكبت ، حيث الحاجة تؤثر في البناء الادراكي للماضي .

واما بالنسبة للمستقبل ، فعندما يتصور الشخص فعلا .. او يتصور الدافع اليه محققا في المستقبل .. فهذا الشخص خيالي النزعة ، واحيانا هو لا واقعي ، واحيانا يبدو دافعه بعيدا عن التحقيق .

ولذلك قرر ليفين انه اذا كانت هناك عقبة ، او عائق يجعلان الوصول الى الهدف محالا ، ظهرت نشاطات بديلة في مستوى الخيال ، او ايضا مستوى الكلام ، والسؤال يعبر عن ارضاء البديل للحاجة .

كيادس وقيمة الاطعمة

درس ديفيد كيادس(١٤) الجوع ، وقيمة بعض الاطعمة في الاشباع .. ونص التجربة كالآتي : تغذى مجموعة من الدجاج بغذاء يحتوي على العناصر اللازمة للنمو .

ثم يؤتى بمجموعة اخرى ، وتحرم من بعض الفيتامينات .. ويكون الملاحظ انها سوف يحدث عندها نقص في هذه الفيتامينات .

يعاد الى المجموعة الاولى ، ويقدم لها نوعان من الطعام ، نوع من فيتامين بكمية زائدة ، وآخر عادي .

النتيجة كانت ان جاذبية الطعام للمجموعة الاولى ، مثل جاذبية الطعام للمجموعة الثانية .. بمعنى ان الطعام له في حد ذاته جاذبية .

ولكن عندما قدم للمجموعة الاولى نوعان من الطعام معا ، اقبلت المجموعة على الطعام الذي يحوي على الفيتامينات .

وهذا دليل على وجود حاسة كيميائية في الحيوان ، هي في اساس سلوكه ... وتشبهها الشهية للطعام عند الانسان .

هناك ميل عند الانسان ، وايضا نفور ، حسب المناسبات والفصول للمواد الدهنية او السكرية ، مما يدل على اساس كيميائي للشهية ، وان قيمة الطعام مرتبطة بارضاء الحياة نفسها .

موري وتصورات الخوف

ولموري(١٥) دراسات في الشخصية ، ومن ملاحظاته انه وجد أن (حالة الخوف) عند الاطفال تغير البناء الادراكي للمجال .

ان الطفل في حالة الخوف يرى ان من حوله يضمرون له الشر ، ولكن تصوراته ، وسلوكه تختلف اذا كان في حال الاطمئنان .

وقد لاحظ موري ان الاطفال يجدون وجوه الاشخاص اكثر لؤما ، في حالة الخوف ، منها في الحالة العادية .

واعترض على ذلك بأن تأويل الطفل للاشكال ، والصور ليست له دلالة واضحة ، لانه يختلف باختلاف مزاج الطفل ، او مزاج الساعة .

في حين ان الانسان من طبيعته يصبغ العالم الخارجي بصبغة اجوائه الداخلية ، بحسب مرونة المناطق التي يكون فيها .

دامبو ، الهلوسة والغضب

وقد وجدت تمارا دامبو ، ان في حالات الانفعالات الشديدة يتخذ ارضاء الرغبة شكل الهلوسات .. بمعنى انه تحت

تاثير (الحاجة) يتحول تصور الهدف الى (هلوسة) ، هي ادراك بدون موضوع .

لقد أولت دامبو عنايتها بسورات (الغضب) ، في العنف الذي ينتاب الاشخاص ، حيث تتصدع الحواجز الفاصلة بين المستويات العميقة والسطحية للشخصية .. وهي الحواجز التي تضمن بالعادة سيطرة الشخص على افعاله ، وذاته .

هذا التصدع عادة ما ينجم عند تصدع في الحواجز الفاصلة بين ما هو واقعي ولا واقعي .. كما ان انغلاق الفعل ليعمل على الزيادة من شدة التوترات ، فينسحب الطابع السلبي على جميع الاشياء في المجال ، وتفقد قيمتها الخاصة ، ويميل الاتجاه العدائي الى ان يصبح عاما .

وبسبب انعدام (التوجه) الى غاية ، او تلاشيه ، تتحطم البنية المتمايزة لمشكلة الغضب الاصلية .. وتاخذ الافعال البديلة صورا بعيدة عنها(١٦) .

وتتجه الافعال العنيفة آنئذ ضد الاشياء ، وضد الاشخاص ، وضد الذات نفسها .. ويغدو الشخص عدوانيا ، يتلمس الخلاص باي ثمن ، من مشكلته ، ومن التوترات(١٧) .

إختباران لكشف الشخصية العميقة

ومن الاختبارات التي اجريت لمعرفة الميول العميقة في الشخصية.، اختبار موريه ، ويتالف من عشرين لوحة عن مجموعة رجال او اطفال او نساء ، يطلب من الشخص ان يتخيل قصة عن كل لوحة .

ومنها اختبار سونزدي ، ويتالف من صور لمرضى نفسانيين او عقليين ، تعطى للاشخاص ، وتدرس استجاباتهم لها ، بالاستلطاف مثلا ، او النفور .

في الاختبار الاول ، القصة هي بمثابة قصة اسقاطية ، تكشف عن الشخصية العميقة للمجرب عليهم ، وفي الاختبار الثاني يمكن بواسطة الصور معرفة (الاتجاه الغريزي) عند الشخص .

ففي هذه الاختبارات ، المجال الخارجي مرن .. ويمكن ايضا تعديله ، او تغييره حسب الحاجات ، وتكون الاسقاطات بمثابة كاشف للشخصية العميقة .

تساجرنك ــ الاستئناف والذاكرة

وقد قامت تساجرنك بتجارب على التذكر ، في علاقته باستئناف العمل .. والمبدا في هذه التجارب هو مبدأ (الاغلاق) ، بمعنى ان الفعل الغريزي يفسر من اساس انه نشاط ابتدىء به ، ولا يتوقف الا بعد ارضاء الحاجة ، والتي ارضاؤها يتم اغلاق دائرة النشاط .

اذ يتم تشغيل الاشخاص بمشكلات مختلفة ، تركيبات بسيطة ، العاب معقدة ، الغاز ، مسائل رياضية وغيرها تبلغ عشرين نوعا .. ثم توقف التجربة بحجة معقولة اثناء قيام الشخص بعمله .

وقد لوحظ انه نادرا ما يتقبل الشخص ، في غير لامبالاة او سلبية ، ايقافه عن عمله .. وعادة هو يبدي دهشته ، او يعترض ، او يبدو عليه الضيق ، ويسال اذا ما كان يستطيع استئناف العمل .

واحيانا يستانف الشخص العمل اذا وجد ان لا احد يراقبه .. وهذا الاستئناف هو استجابة لبقاء التوتر ، وانه لم يتم فضه .

ثم يطلب من الاشخاص ، بعد اربع وعشرين ساعة ، ان يتذكروا موضوع هذه المشكلات ، وبالطبع عندما تكون المسائل متعددة يحدث فيها نسيان .

وقد وجدت تساجرنك ان نسبة التذكر للاعمال غير المنتهية الى الاعمال المنتهية هي ١٤٩ و ٢٤١ ، اي اذا كان الشخص يتذكر شيئا من الاعمال المنتهية فهو يتذكر شيئين من غير المنتهية .. وهذا الاصرار من جانب الذكريات دليل جديد على استمرار التوتر الخاص بالمهام غير المنجزة(١٨) .

ليسنر ــ القيمة وارضاء الحاجة

وقد درس ليسنر (القيمة) التي لنشاط ما في ارضاء الحاجة ، عن طريق استئناف العمل ، والذي يعتبر وسيلة من وسائل دراسة النشاط ، وما وراءه من دافع .. وايضا وسيلة من وسائل الابقاء على حاجة قبل ارضائها .

وتساءل ليسنر الى اي حد يستانف الشخص العمل الذي امتنع عنه.؟ . وهل الفعل البديل يرضي حاجة موجهة الى نشاط اصلي ؟ ! .

وقد وجد ان قيمة (الفعل البديل) يمكن قياسها بكمية الهبوط في استئناف العمل الاصلي ، والذي توقف .. فاعاده الشخص ، او اتم نشاطا بديلا عنه .

مثال ذلك ، مطلوب من شخص مقابلة شخص آخر شخصيا ، اي مواجهته .. المهمة هنا نشاط اصلي ، ولكن يمكن بسبب العوائق اللجوء الى وسائل بديلة ، مثل ارسال خطاب او ارسال شخص آخر .

فاذا استؤنف النشاط الاصلي ، فمعنى ذلك ان الفعل البديل له (قيمة منخفضة) .. واذا اوثر الفعل البديل ، فمعنى ذلك ان قيمته مرتفعة .. وعلى هذا النحو نرى الى شدة النشاط نفسه .

ماهلر والقيمة الاستبدالية ، للكلام او الفكر في تحقيق غاية

وقامت ماهلر بدراسة القيمة الاستبدالية لاتمام نشاط متوقف عن طريق الكلام ، او الفكر ، بدلا من استئنافه

بالفعل .. الامر الذي يغني القيمة الاستبدالية للكلام والفكر نفسيهما .

وقد وجدت ان هذه القيمة هي ١٤٢ ، في حين هي في النشاط الفعلي ٢٤٣ .. كما وجدت انه اذا كانت قيمة الفعل ٢٤٣ ، فقيمة الكلام ١٤٢ .

وكذلك درس عدد من علماء النفس القيمة الاستبدالية في مجال اللعب ، ومجال الجد ، وخاصة الانتقال من مجال الى آخر .. ان القيمة الاستبدالية تتوقف على تحقيق غاية ، وفي بعض الاحيان يكون للكلام ، او الفكر قيمة استبدالية اكبر من الفعل ، وفي الأعداد القادمة تتحدث عن التوتر الانفعالي ، والصراعات ، والى اللقاء .

---

(١) — من المستحسن مراجعة ابحاثنا السابقة في (الاديب) الغراء ، الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، اغسطس — ديسمبر ١٩٧٨ ، والموجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ .

(٢) — وكوفكا يعتبر بناء العش عند الطائر مثل ترنيمة متناغمة (ميلوديا) ، ابتدا الطائر بها ، وتتجه الى انجاز متميز بعينه .

(٣) — ناهيك ان التفسير الآلي يفسر الوظيفة ، وليس اصلها ، كما ان الوظيفة التي تصنع العضو لا تشبه وظيفة العضو الجاهز .

(٤) — وقد راينا كيف ان المعادلة السلوكية بين المنبه والاحساس ، اصبحت معادلة مواتفية بين منبه وكائن حي واستجابة ، وان السلوك جزء من المجال ، ويترتب عليه ، انظر الموقف والسلوك ، ص ١٢ و ١٣

(٥) — وفي نظر كورت ليفين (التكيف) هو مجاراة الجو الراهن ، والانسان بتكيفه مع محيطه يجعل استجاباته من نوع المنبهات الواردة اليه ، الخ ، انظر الموجه الكيفي ، ص ٥

(٦) و (٧) — ترجم الدكتور صلاح مخيمر ، وعبده رزق الكتاب الى العربية ، ونشر تحت عنوان : علم نفس الجشكلت ، مصر ١٩٦٣ ، والاشارتان المنوه عنهما من ص ١٨٠

(٨) — المرجع السابق ، ص ١٨١ — ١٨٣ ، وتجد آراء كوفكا من تحدد المجال تحت تاثير الحاجات ، في كتابه : مبادىء علم نفس الصيغة ، ١٩٢٥

(٩) — كنا اوضحنا المقصود من (قيمة) ، عند شرحنا للقوى النفسية ، وانواعها : الدافعة ، والمانعة ، او المثارة ، او المطابقة ، او اللاشخصية ، ورأينا ان القوة النفسية التي تدفع الشخص نحو تحقيق هدفه يسمونها (قيمة ايجابية) ، وعكسها السلبية ، انظر الموجه الكيفي ، ص ٧

(١٠) — في اتجاه تكاملي يطلق استاذنا المرحوم (يوسف مراد) مصطلح غريزة على (الميول الفطرية) ، وهي في نظره ثلاثة انواع : الميول الشخصية ، وتخص الوظائف العضوية من اكل ونوم وانسال ودفاع عن الذات ، ثم الميول العائلية ، وتتعلق بالعلاقات بين الجنسين ، ثم الميول الاجتماعية ، وتحقق ضروب التعاون في الميل الغريزي للمجتمع عند الانسان ، مبادىء علم النفس العام ، مصر ١٩٤٨ ، ص ٩٨ — ١٠٤

واما الدكتور (فاخر عاقل) فانه في اتجاه سلوكي صارم يطلق مصطلح غريزة على انماط من السلوك ، او مجموعات من الافعال المنعكسة ، المعقدة نسبيا ، والفطرية دوما .. والفروق في نظره بين الغريزة والفعل المنعكس ان الغريزة اكثر تعقيدا ، وتستدعي تكيفا ، واعمالا تشمل مجموع العضوية ، وانها اكثر تنوعا ومرونة من الفعل المنعكس ، علم النفس دراسة التكيف البشري ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٧٣ — ١٧٤

(١١) — انظر علم نفس الجشكلت ، السابق الذكر ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(١٢) — وكورت ليفين يستعمل مصطلح (حاجة) بمعنى دافع بشكل عام ، اي الدافع النفسي ، العضوي والوظيفي والاجتماعي ، وجاء في (موسوعة علم النفس ، والتحليل النفسي) ، للدكتور عبد المنعم الحفني ، ان مصطلح حاجة ادخله ليفين في الثلاثينات ، ويعني شعور المرء بانه ينقصه شيء ، او يلزمه شيء ، والحاجة في نظره تضفي قيمة على الاشياء ، وتولد قوة لها اتجاه وحجم ، ج ٢ ، ص ٨ . . . . .

(١٣) — وهذه التجربة ، وجميع التجارب الاخرى المنوه عنها ، نقلناها من امالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ، في حين تجد في كتاب علم نفس الجشكلت اوصاف تجربتي دامبو وتساجرنك .

(١٤) — درس كياوس سلوك الحيوان وابصار الالوان ، وله كتاب في ذلك .

(١٥) — ودرس موري الشخصية ، وله فيها اختبار تفاهم الموضوع .

(١٦) — ويرى (بول جبيوم) أن الاضطرابات الانفعالية صور بدائية لافراغ التوترات ، وان الفعل البديل عاجز من ان يحقق افراغا كاملا ، ص ١٨٧ ، وان الهرب من مواجهة الحل ، مثل الانطواء على الذات حل فظ ، ووضيع ، ص ١٨٩

(١٧) — وفي الغضب يظهر عدم تمايز (الصراع) ، وتظهر الوقائع التي يتالف منها ، وهي تخضع لحركية الانفعال الكلية .

(١٨) — ويتحدث بول جبيوم ايضا عن دراسة هوب للنجاح والفشل ، وانهما يمكن تحديدهما نفسيا بالرجوع الى التوتر الذي يتطلب الفض ، وكيف ان الاستئناف لا يعود تكرارا ، اذ تدخل فيه غاية مختلفة هي الاداء الافضل ، او الاسرع ، ص ١٨٧ ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل

الدموع في عينيها والالم يرتسم بتعاسة على ملامح الوجه الرقيق ، وصوتها الناعم لا يعرف طريقه الى الخارج يموت في داخلها منقبضا يعتصره الالم ... والشقاء كانت تخشى الفراق انها المرة الاولى التي تترك طفلتها وحدها تسافر سفرا طويلا يمتد الى عام او يزيد ... سوف تتركها مريضة في احضان جدتها ... لا تصدق ذلك وعندما تتذكره تموت الدموع في عينيها والكلمات على شفتيها فيهتز بدنها متشنجا في تعاسة ارهقتني وارهقت نفسها .

سيدتي ... انه امر الطبيب ، الطفلة لا تستطيع ان تتحمل الرحلة الطويلة ... السفر القاسي عبر الصحاري والجبال والبحار سوف تنتقل من قارة الى اخرى ... سياحة طويلة .. جو مختلف . لن تتحمل الرحلة ، وقرار الطبيب ان تعيش في بلدها حتى يتم علاجها وتشفى وتمر بفترة نقاهة .

وهي صغيرة لا تعي شيئا ، لا تنطق سوى بضع كلمات ، سوف تتحمل الفراق . ولكن الام — دون كلام — تحدثني جوارحها ، يحدثني قلبها وعقلها ... ولكنني اعرف انا امها ، اعرف انني سوف اترك طفلتي وحيدة بعيدة عن احضاني سوف اتركها واسافر .. اغيب عنها وتغيب عن عيني . عام طويل كيف احتمل العذاب ؟ ولكن الفراق لمصلحتها ... البقاء لصالحها ايضا انه حياة لها ولكنه موت لي ... لا بد ان نضحي ... لا استطيع ... سافري انت الى القاهرة وسوف الحق بك انا ... ساحاول ... لا تقلقي .

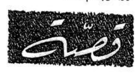
واصبحت وحدي وجها لوجه مع الفراق والتعاسة ونبضات القلب وعذاب الالم كان علي ان اودعها ... كانت نائمة .. لا بد ان تكون نائمة حتى لا تبكي انها تحب ان تنادي بصوتها العذب الرقيق .. بابا ...

بابا ... انا صحيت ... لو استيقظت ورائي ... لما تحملت العذاب سوف اهرب انا الآخر ... كان موعدي مع الفجر ... كانت راقدة في فراشها والنافذة يتسلل منها ضوء القمر الفضي ويعانق في حنان سريرها الصغير وحجرتها الانيقة ... كانت مثل ملاك صغير يستحم في بحيرة من الفضة وكان الهدوء والسكون ينيفان على جو الحجرة ابعادا قدسية ... عظمة الله وقدرته في نور القمر الساطع مقدرة الخالق العظيم وحنانه الالهي والضعف الانساني والالم والامل مع الحنان الذي اوجده الله في القلب الانساني .



بقلم السيد ابراهيم

وتتلاقى العيون وضوء القمر ووجه الطفلة المريضة مع احلامها البريئة وعناق الملائكة ، الاشياء كلها تسبح في البحيرة الفضية وعلى الشاطىء الآخر العذاب والامل .. الفراق والحب .. الحنان والرحمة ... وانحني على وجه المأساة اقبل الملامح الرقيقة وتسقط دمعة ساخنة تبلل الوجه النحيل وتتحرك الطفلة في البحيرة الفضية ولكن النوم سلطان وارى من خلال الدموع ابتسامة ناعمة على الوجه الرقيق والاهداب الطويلة تتحرك في دعة ... وتفتح عينيها وتبتسم ...



وانستني الابتسامة وداع الفراق ثم راحت في سبات عميق من جديد واهتز قلبي بعنف وتعالت ضرباته ... وهرولت في عجلة خارج البحيرة الفضية ... وقالت امي لا تقلق انها في عيوني ... انها اعز من ولدي .. منك ... لا تقلق سافر في رعاية الله .

تذكرت اشياء كثيرة انسى فيها الفراق ... فراق طفلتي ... لقد نسيت امي ... الست مثل ابنتي بالنسبة لها ؟ ... انها ايضا تتعذب لفراقي ... انها ام ... انا انسان جامد القلب اناني ... امي تتالم وانا لا افكر الا في نفسي ... رحماك يا امي . وتماسكت امامها تصنعت الابتسام ... مثلها تماما ... ولكنها الام الكبرى ام الجميع لها خبرة ولها ماض ودعت الكثيرين وودعت وداع الابد ايضا ... لهـا تحت التراب فلذات كبدها .. قطع من ذاتها انها امنا الكبيرة ... يا لي من جاحد ... لماذا اعذبها ... غفرانك يا امي .. لقد نسيت ...

لا عليك يا ولدي ... اصبر سوف نعود سالما ... باذن الله ... وسوف تجد اسماء وقد اصبحت عروسة حلوة ... الدموع تنساب غزيرة ... الكلمات تضيع ... الحروف تذوب لا شيء سوى دقات القلوب التي تتعانق لتستعد للفراق الطويل .. عذاب الام الصغيرة في انتظاري ... لقد ذوت ... ذبلت في ايام ... وترتجف وتقول ابنتي ... !

لا تخافي يا حبيبتي ... انها في عيون القمر ... في رعاية الله ... في احضان جدتها ... ولكنني ؟ ... ووضعت يدي على فمها ... لا تقلقي ... استحلفك بالله .. الحزن لا يفيد ... انت على موعد مع القدر في حاجة لصحتك ... من اجل المستقبل ... والامل والضيف القادم .

الطائرة تغادر المطار ...

اصبحت في البحر اللانهائي ... الابد حولها والكون كله يعانقها ... نحن بداخلها انا وهي قلوبنا ليست معنا كيف انت الآن يا ابنتي .. كيف حالك ... يا اسماء ... اقولها وتقولها الام بلا صوت وبصوت يعلو على كل شيء ... انه الفراق وتقول الجدة في رسالتها لا تقلق يا ابني ... انها في رعاية الله ... ساصدقك القول ... الطفل اي طفل يشعر ايضا بالفراق ... عندما استيقظت في ذلك اليوم ... ماذا فعلت ؟ .

وجدتها تترك سريرها الصغير وحدها وتدخل حجرتك صامتة باحثة ثم دارت في حجرات المنزل تبحث في الاركان الخرساء ولا تنطق جامدة لا يظهر على ملامحها اي شيء ... فكر وانشغال دموع متجمدة ... صبر ومثابرة ... ثم دموع غزيرة ... وبابا وماما ...

وهبط قلبي احسست انه يقتز من بين ضلوعي ... احسست بالاغماء ... امسكتها رفعتها فوق صدري وضممتها بشدة الى قلبي... اعادت الي الحياة فارقني الدوار ... افلت من الاغماء .. دموعها ايقظتني كانت تهتز تبحث بعيونها الجميلة في كل مكان وترفع راسها الى السماء وتتنهد وتقول بصوت ضعيف فيه عتاب ... بابا ماما ... فوق ابكتني كثيرا . وابكت كل من سمع عتابها ... الكلمات رغم بساطتها هي المأساة بعينها . ولكنها الحياة ... دائما .. فراق ولقاء عذاب وفرح ...

يا امي ... خطابك مزق قلبي كان ببساطة كسكين يخترق شغاف القلب ... انا المسؤول لقد طلبت الصدق وانت كنت صادقة ... لنا الله جميعا . امها في مأساة منذ ان سافرنا اذا دخلت حجرتها بكت اذا ما رات ملابسها وهي تعد ملابسنا انهارت وتظل طوال اليوم في عذاب والم ... اخفيت ملابسها .. بعت سريرها حاولت ان ابعد كل ما يذكرنا بها ولكن هل نجحت ؟

لقد سقطت الام مريضة بعد ضعف اصابها عافت نفسها الطعام ... ذبلت نحل عودها راح بهاؤها واوصى كل الاطباء بمراعاتها والعناية الشديدة بها . ولكنها تقول ابنتي... اريد ابنتي ... سافر فورا ... لا اجازة ... لست في بلدي غريب يبحث عن لقمة العيش يعمل خارج وطنه لا يملك من امره شيئا حتى جواز سفره لا يملكه ... كيف اسافر ... انا اسير عقدي .. لقد اصبحت رقيقا ... انه عقد رق ولكنها الحاجة ... لو كان الفقر رجلا لقتله بلدنا كما تعلمين ... الطيور المهاجرة كثر عددها ... والشرق والغرب والشمال والجنوب ... الى ان تعود المياه الى ارضها .. والخير لاصحابه .

هذه مشيئة الله ... ماذا نعمل ؟ ولكنني ساجن ؟ الصبر ... اصبري حاولي ان تنسي انها في امان ... لماذا تخافين ؟ انها قطعة مني فلذة كبدي ... انا قاتلة .. ولكن مصلحتها ؟ ... انت مثلي انا اناني ... الايام تمر البنت بصوتها ومناغاتها ولعبها وجسدها النحيل بعيونها البريئة تملأ ارجاء النفس وجوانب البيت تلاحقني حتى في فترة العمل ... نحن اسرى الملاك الصغير ... واتطلع الى السماء وعندما تستحم عيناي في بحر القمر الفضي ارى ابنتي في عيون القمر ... اراها تضحك لي ... تبتسم تلوح لي .. ثم تغيب الابتسامة تذبل كما يذبل اللون الفضي عندما يبدأ القمر في العودة ... ويعود الالم ... ابنتي في عيون القمر . وامها تراها في عيون الآخرين ... عذاب .

انت حامل انسي ... اهتمي بنفسك ... الضيف القادم على الابواب يدق الباب بعنف يخرج الى النور انها طفلة اخرى ... سوف تنسين ... لتكن سلوى لك ... اريد ابنتي حتى وسلوى معك في احضانك ... كيف انسى ... انا ام ... اريد اسماء ولكنها في عيون القمر وترد حانقة بل في عيون الآخرين ... ارى ما في عيون الناس بل اراها في عيني سلوى ...

انسى اسماء لا استطيع حتى وانا اضم صغيرتي الى صدري وانا اضمها ... لا انسى اسماء انها جزء من سلوى وسلوى جزء من اسماء.. تذكرني بها بطفولتها ... ماذا اصبحت الآن ؟ ــ لا بد ان نسافر... على رسلك ... الايام تسرع ... الموعد يقترب سوف نرحل ... اصبري لا طاقة لي على الصبر ... تحملي ... سوف تمر الايام ...

لم اعد اطيق صبرا ... معك ملاك جميل ... ولو كان معي الف ملاك فانا ابحث عن الملاك الذي نسيته ... انها وحيدة رغم انها في قلب الجميع وفي رعاية الجميع ... انها تبحث عن احضاني ... تريدني انا ... انا امها انها في عيون الآخرين ... اراها في كل طفلة ... في كل لمسة .. في كل كلمة .. دموعها دموعي ... آلامها آلامي.. اشعر انها مريضة حتى وهي بعيدة عني ... لا عجب ... انه قلب الام ...

رفقا بنفسك ... نحن على وشك الرحيل ... الايام تمر ... ولكن العذاب يكبر ... الفراق سوف ينتهي ... ولكنه بالنسبة لي يطول ... لا نهاية له ... انا حزينة .. لكل شيء نهاية ولكن عذاب الام لا نهاية له .

القاهرة السيد ابراهيم

التاريخ الابجدي في الشعر العربي

بقلم وليم صعب
صاحب مجلة البيدر

❊ ❊ ❊



دعاني الى كتابة هذه اللمحة عن التاريخ الابجدي في الشعر العربي قصيدة وردت في (بريد الاديب) ، عدد حزيران السابق ، موجهة من الشاعر عبد العليم القباني الى الشاعر محمود عبد الحي توجها ناظمها بالمقدمة التالية :

« الى الشاعر الصديق الاستاذ الجليل والشاعر الكبير محمود عبد الحي تاريخا لصدور ديوانه (اصداف الشاطىء) سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م » .

وكما جرت العادة في ايراد التاريخ في آخر بيت جاء تاريخ السنة الهجرية هكذا :

تاريخــه مــد لاح في طبعــه (هذي هي الاصداف جسر السنين)

اما تاريخ السنة الميلادية فقد جاء في ما يلي :

تاريخــه مــذ لاح في طبعــه (هــذا يرب الحسن وشي ثمين)

ان ناظم التاريخين وضع عجز البيت الاخير ، اي الشطر الثاني ، بين هلالين لينبه الى ان كلا منهما يستخرج من الكلمات المحصورة بين الهلالين ، مع ان المصطلح في ذلك ان يبدأ جمع ارقام الاحرف بعد كلمة (تاريخ) او ما يشتق منها . ورغم الخروج على هذا المصطلح ــ القاعدة جاء التاريخ الهجري مغلوطا ، فما وضع بين الهلالين ، في ما يختص به ، تجمع حروفه ١٤٠١ لا ١٣٩٧ . وجاء التاريخ الميلادي مغلوطا ايضا اذ ان احرفه تجمع ١٩٧٥ لا ١٩٧٧ .

وليصبح التاريخان صحيحين يجب ان يكونا هكذا ، مع الاشارة الى ان تصحيحهما ليس تصحيحا سليما الا من ناحية الارقام فقط :

للتاريخ الهجري :

والمدح في تاريخــه لاهــج : هذي هي (الاصداف) جسر حصين

وللتاريخ الميلادي :

غنى الثنا مـذ لاح تاريخه : هــذا بــدر الحسن وشي ثمين

لم نطلع على منظومات في الشعر العربي تتضمن تواريخ ابجدية الا في القرن الماضي ، وكان مــن طليعة فرسانها المجلين اليازجيون الثلاثة : ناصيف وولداه ابراهيم وخليل الذين تفننوا كثيرا في هذا المضمار مــع عدد من معاصريهم الشعراء . واننا نرى أبيات هذه التواريخ بارزة في سرايا بيت الدين وقصرها حيث عمل اليازجي الكبير مدة غير قصيرة كاتبا لدى بشير الثاني باني القصر الذي جمع حوله لفيفا من شعراء ذلك العصر ، كما نرى التواريخ الابجدية محفورة في امكنة مختلفة علــى مداخل المباني الرسمية والمدافن . ومنها لوحات فنيــة كتبها موهوبو الخطاطين وقدموها هدايا في مختلف المناسبات .

اما الطريقة المعتمدة في نظم التاريخ الابجدي فهي التالية :

تؤخذ الابجدية التي جمعت حروفها ، بالتسلسل ، في هــذه الكلمات : « ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ » ، وتراعى ارقــام حروفها كما اوردتها المعاجم بحسب ما يأتي :

ا = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، ه = ٥ ،
و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ي = ١٠ ،
ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ،
ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ،
ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ،
خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ،
غ = ١٠٠٠

ولما كان التاريخ الابجدي من شعر المناسبات فان المناسبة يجب ان تراعى في التعبير . والمفروض ان يكون عدد ابيات القطعة الواحدة قليلا ، وتختتم ببيت التاريخ الذي يجب ان ترد فيه كلمة (تاريخ) ، او ما يشتق منها ، وبعدها تجمع ارقام احرف الكلمات التي يتألف منها رقم السنة المقصود ــ السنة التي حصلت فيها المناسبة .

صحيح ان التاريخ الابجدي في الشعر العربي من شعر المناسبات الذي قامت عليه قيامة الناقدين ، ولكن له ميزات كثيرة نجملها في ما يلي :

١ ــ حفظ بيت التاريخ اسهل من حفظ الرقم المجرد ، فبواسطته تجمع ارقام الاحرف ويهتدى الى التاريخ حالا .

٢ ــ اهداء لوحة فنية تتضمن تاريخا ابجديا كتبه خطاط بارع افضل مــن كثير مــن الهدايا التي تقدم في المناسبات ، فاللوحة الفنية تبقى بارزة للعيان في ردهة الاستقبال في المنزل .

ولكي يكون التاريخ الابجدي مكتمل القيمة يجب ان يعرف الناطقون بالعربية الرقم الذي يمثله كل حرف من حروف الابجدية ، ومن اجل ذلك اثبتنا في هذه اللمحة ما يتعلق بهذه الناحية . وحري بنا ان ندخل هذا بين مواد التدريس في المعاهد ، وهو سهل جدا ، ويسير جنبا الى جنب مع تدريس الحروف الشمسية والحروف القمرية .

وعلى ذكر الحروف الشمسية والقمرية نلفت النظر الى ان هذا الدرس البسيط الذي يمر في الصفوف الابتدائية لا يستوعبه التلاميذ ، حتى ان كبار مدرسي اللغة لا يمكن ان يستوعبوه بالاسلوب المتبع في سرد الحروف على هذه الصورة : الحروف الشمسية هي كذا وكذا وكذا ... والحروف القمرية هي كذا وكذا وكذا ... فالتلميذ ، بهذه الطريقة ، يحفظ الحروف لمدة قصيرة ثم ينساها ... وبعد ان يتخرج بشهاداته العالية من ثانوية وجامعية يقف على المنبر ويلفظ كلمة (الجامعة) ، مثلا ، بــدون ان يبرز

(لام ال) التي تظهر مع الحروف القمرية ، وتختفي مع الحروف الشمسية ، لانه يكون قد نسي الدرس الذي تلقنه وهو ابن سبع سنوات ، ولم يحفظه ، آنذاك ، الا في سبيل نيل علامة جيدة فقط . فمن اجل سد هذا الفراغ وضعنا اربع كلمات جمعنا فيها الحروف القمرية ، هي التالية : (ابجخ ، هوع ، حقي ، كفمغ) ، واربع كلمات جمعنا فيها الحروف الشمسية هي : (سدزص ، طرثت ، ثلذ ، ضظن) . فاذا حفظت هذه الكلمات ، وحفظها سهل ، يعود المسؤول اليها ويسرد حروفها بدون تردد او تلعثم ، كما هي الحال في الكلمات الثماني التي جمعوا فيها حروف اللغة العربية موزعين الارقام على الحروف هكذا ، بحسب تسلسل الكلمات : من الرقم ١ الى الرقم ١٠ بالتسلسل ، ثم من الرقم ٢٠ الى ٣٠ الى ٤٠ الى ٥٠ الى ٦٠ الى ٧٠ الى ٨٠ الى ٩٠ الى ١٠٠ ثم من الرقم ٢٠٠ الى ٣٠٠ الى ٤٠٠ الى ٥٠٠ الى ٦٠٠ الى ٧٠٠ الى ٨٠٠ الى ٩٠٠ الى ١٠٠٠ .

والتاريخ الابجدي ، لكي يكون مقبولا او مستساغا ، يجب ان يتجنب ناظمه الحشو وإقحام الكلمات في غير مواضعها سعيا وراء الوصول الى رقم معين ، اذ ان ميزة التاريخ الابجدي الجيد الا يشعر قارئه باي تمحل او تكلف .

ان نظم التاريخ الابجدي ليس عملية سهلة ... انه فن قائم بذاته ، وموهبة خاصة ، والذين اتقنوه قلة نادرة ، وقد لا يتمكن امهر الشعراء من نظمه .

يروى ان شخصا جاء في النصف الاخير من القرن الماضي الى الشويفات قادما من اللاذقية ليكلف الشاعر شاكر شقير نظم تاريخ ابجدي يوضع على ضريح والده . وعندما عرض طلبه على الشاعر اجابه شاكر شقير بانه يتمكن من تسليمه التاريخ في مدة اسبوع ، وعندما ازعجت المدة الطويلة طالب التاريخ تدخلت زوجة الشاعر فانزل زوجها المدة الى اربعة ايام . ولما انصرف الرجل عاتبت المراة زوجها قائلة له : الم تنه نظم التاريخ والرجل امامك ؟ فلماذا طلبت هذه المهلة الطويلة ؟ فرد عليها قائلا : كيف يدفع الذهبيات الخمس اذا راى انني نظمت التاريخ بهذه السهولة ؟

ونحن نختتم هذه اللمحة باثبات بعض التواريخ الابجدية التي نظمت في مناسبات مختلفة :

ناصيف اليازجي ارخ وفاة القاضي احمد تقي الدين المعروف بالكبير سنة ١٢٧٤ هـ هكذا ، وقد حفرت هذه الابيات على بلاطة الضريح :

هذا مقام السيد العلم الذي ورث الكمال عن الامير السيد
نسل التقي الدين عمدة قومه قاضي البلاد الصالح المتعبد
قد كان للقصاد في ايامه ركنا ، وللوراد اعذب مورد
ولقد ثوى يوما برحمة ربه في قبة لاحت لنا كالمشهد
صلى مؤرخها وبارك قائلا حياك يا من زار قبة احمد

وامين ناصر الدين ارخ وفاة القاضي الشاعر احمد تقي الدين ، حفيد القاضي المعروف بالكبير ، بحسب تاريخ السنة الهجرية ١٣٥٣ كما يلي :

هذا ضريح فيه احمد قد ثوى والفضل بعد (ابي فريد) مقصد
فجعت به غر المناقب اذ قضى واندك ركن للقضاء مشيد
وتلهف الادب الصميم ولم يزل دمع اليراعة سائلا لا يجمد
ويح النزاهة والوفاء كليهما قد امسيا واساهما لا ينفد
قف عند تربته وبالتاريخ قل حيا ضريحك صيب يا احمد

وهذا **ابراهيم الحوراني** يؤرخ ولادة عارف النكدي سنة ١٣٠٤ هـ :

رنمت ورق التهاني في الحمى وغصون الحي بالبشرى تميد
قيل لي : من ذا الذي اطربها وغدا في عصرنا بيت القصيد
قلت : من البشر ارخ شارحا (عارف) نجل (الامين) ابن (السعيد)

اما **خليل اليازجي** فقد ارخ ولادة عارف النكدي سنة ١٨٨٧ م هكذا :

لامينا النكدي نجل طيب وكذلك الاغصان تتبع اصلها
وافى عشيرته الكريمة (عارفا) بالطبع عنصرها فينشا مثلها
هي دوحة المجد القديمة والتي يوما على لبنان القت ظلها
يا حبذا منها لها اصل كما منه نؤرخ حبذا غصن لها

وهذا نقولا اسد نصرالله يترك (المصيطبه) الى الولايات المتحدة الاميركية حيث مكث اربعين سنة عاد بعدها الى وطنه وبنى بيتا على شاطىء البحر في بلدة (البرباره) سنة ١٩٧١ ، وسجل تاريخ بنائه على لوحة حفر عليها هذان البيتان من نظمه :

ودعت شاطئه بدمعة واله ونايت يجذبني النوى لجماله
فرجعت للشاطي اؤرخ بانيا من نعمة الباري ومن افضاله

واخيرا نثبت هنا بعض التواريخ التي نظمها كاتب هذه اللمحة . ومن الخطاطين البارعين الذين كتبوها : فهد المنداري ، بهيج فهد المنداري ، منير صافي :

— تاريخ انتخاب رئيس الجمهورية الاستاذ الياس سركيس سنة ١٩٧٦ :

سفينة الحكم ، والامواج صاخبة ، قد قادها (الياس) باسم الله مجريها
فانشد الارز : سجل يا مؤرخ لي : في شخص (سركيس) اعطي القوس باريها

— تاريخ زفاف موريس اديب جهشان وفيوليت نجيب جهشان سنة ١٩٧٣ :

هذي يد المولى تؤسس منزلا قلب بقلب فيه بالله اتحد
وبه المهنىء والمؤرخ رنما : بيت بناه الرب يثبت للابد

— تاريخ ولادة جورج نجل شفيق عاصي مدير بنك بيروت والبلاد العربية في عاليه ، سنة ١٩٧١ :

يا ايها (العاصي) المطيع الله ، من نعم السما مولاك انعم بالولد
وافاك في عام تالق نوره تاريخه : ذا الشبل من ذاك الاسد

— عاطف امين وهاب توفي في حادث سيارة وهو في التاسعة عشرة من سنيه . اقيم له تمثال حفرت على قاعدته هذه الابيات وفي ثانيها تاريخ ولادته عام ١٩٤٣ ، وفي ثالثها تاريخ وفاته عام ١٩٦٢ ، وفي رابعها تاريخ اقامة تمثاله عام ١٩٧٣ في بلدته (غريفه) :

ظهرت وغبت وعدت فدم هو البدر يحيا غيابا ايابا
ظهرت هلالا بتاريخه اضاء وفي الربيع جلت شهابا
ويا ربع ، ليلك ، ارخ دجا هنا البدر من بعد ان تم غابا
وعاد وتاريخه حارس فغاب شبابا وآب شبابا

وليم نجيب صعب

على ذرى الاربعين

فوزي عطوي

*

الاربعون سوانح تترقرق(١) ... ومطامح ، في خاطري ، تتألق

انا في ذراها باسط كف الرضا ... ران الى أيامها ، متشوق

وفيتها ما اسلفتني من هوى ... وبثثتها الحب الذي لا يخلق

فعلى جبيني لمسة من مجدها ... بشموخها وسماحها اتخلق

وعلى يراعي من علاها رقة ... نشوى ، وثورة مهجة تتدفق

الاربعون ! وما عبرت رحابها ... الا كما عبر الشباب الريق

متانقا ، والزهو ملء جوانحي ... لله عمر الزهو ، اذ يتانق

ايام احسبني ، وآفاق السما ... لي ملعب ، فوق النسور احلق

ولقد ربيت على الطموح مجنحا ... مذ كان قلبي بالبراءة يخفق

كحلت هدبي باخضرار حدائق ... وغناء طير بالسلام تزقزق

واخذت عن صفو الجداول رقة ... وعن النسيم بساطة تتعمق

وألفت زمجرة العواصف ثائرا ... نعتم الفواصف تنتحب وتمشق

الاربعون ، وذكرياتي جمة ... مهما تكن ، فهي الجمال المطلق

أرنو الى طفل حيي طرفه ... يسعى الى شم الذرى ، لا يسبق

« الراهبات » صقلن صحو ضميره(٢) ... فضميره ، مما اتى ، لا يقلق

و «الاخوة» الشم الشمائل، ايقظوا(٣) ... أحلامه ، فهو الجواد المفدق

نهل المعارف والنظام ، ولم يزل ... بعراهما ، عبر المدى ، يتعلق

في « العاملية » اورقت أكمامه(٤) ... أكرم بها اما به تترفق

ومن « المقاصد » نفحة مسكية(٥) ... لما تزل بهوى الاحبة تعبق

طلب العلى ، متعلما ومعلما ... فيها ، فحالفه البيان المونق

واذا « الصحافة » أكرمت روادها(٦) ... فهو الكريم الالمعي الاعرق

واذا « الحقوق » تساءلت : من باحث ... رحب القريحة ، بالفخار مطوق

قالت لها بيروت : هذا فارسي(٧) ... وتشوقت مصر ، وحنت جلق

واذا زهت أم اللغات بشاعر ... فحديثه بفم العروبة معرق

انماه لبنان نجي فصاحة(٨) ... فعلى يراعته الجلال المورق

أواه ! ما لبنان في ليل الاسى ... وجبينه ، مما تحمل ، مطرق

فيكاد يرديه جموح عداته(٩) ... واكاد من ماساته اتمزق

بابي وامي ، ما لمست مروءة ... الا غدوت ، وفضلها بي يسمق

الناس ، كل الناس اخواني ، فان اسبق ، فهم عندي الاباة السبق
لـي اخوة شم الجباه ، كواكب لله نبلهـم البهـي الشيـق
نثري بهم ، والبر بعض صنيعهم ان ليس فيهم تائـه متشـدق
ولكـأن أهنـا مـا يكون مآلنـا لـو لـم يغب عنا الجبين المشرق
عودي باطياب « الوفيق » ندية(١٠) فعلام صوح ، في الرياض ، الزنبق
ولقـد يرى عذري عريق في الوفا ان رجت أمتدح الجدود ، فاصدق
كانوا كما انسرح الضياء ، اعزة هيهات ، اما يسبقوا ان يلحقوا
لـم يكسبوا بدم الشعوب تجارة لم يقتلوا ، لم ينهبوا ، لم يسرقوا
لـم يغوهم يسر ، ولم يخضعهم عسر ، ولم يهنوا ، ولم يتملقوا
تركوا الشفوخ لمـن يهاب تالقـا وعلى ذرى المجـد الرفيع تالقوا
الاربعون ! وفي حماها لي هوى متجدد ، حلـو المنـى ، متدفق
« ليلى » ، وعمر المكرمات موانق(١١) عتـق الزمان ، وحبنـا لا يعتق
اطيازنا صفو الحياة ، ولـم يزل صفـو الحيـاة بحبنـا يترقرق
« شيرين » الهام ، و « نادين » علا ، وجمـال « لبنى » بالمكارم ينطـق
وجلال « كارولين » ميمون الشذا(١٢) تتنشـق الاحـلام مـا تتنشـق
هن الهوى الصافي ، اذا عز الهوى واذا فـدا ود الـورى يترنـق
ولربمـا آنتـك منـي نـزوة بلهـاء ، او آذاك همس أحمق
فلعـل عذري ، وانفعالي جامح انـي اكـاد مـن الاذى اتحرق
ولنحن ، ان عمق الجفاء ، فحبنا يـا منيـة العمر المندى اعمـق
يـا اربعون ! تحيـة مـن ذاكر مـا زال في ايامكـن يحـدق
رفقا بتاريخي ، فليست لي يـد في بعث ما ولى ، فهل لي موثق
حسبي مـن الايام عمـر ماجـد لـم يغـره الدرب الاذل الاخرق
هذبت بالخلـق القويـم غرائزي وهزئت فيمـن يستبيـه الزئبـق
ولـرب موتـور يرانـي خاطئـا يـا رب ، انـي بالندامة اشرق
الحمد للرحمن ، انـي لـم ازل أشدو من النعمى ، وغيري ينعق

---

(١) ـ نظمت يوم الاثنين ٢٦ آذار ١٩٧٩ ، وقد بلغ الشاعر الاربعين من عمره . (٢) ـ كانت دراسة الشاعر الاولى في مدرسة راهبات مار يوسف بحارة حريك ، ضاحية بيروت الجنوبية . (٣) ـ انتقل الشاعر من الراهبات الى مدرسة « الفرير نوتردام دو لورد » في فرن الشباك ، ضاحية بيروت الشرقية . (٤) ـ في الكلية العاملية ببيروت انهى دراسة البكالوريا اللبنانية . (٥) ـ في المقاصد الاسلامية انهى دراسة الفلسفة ، وتولى التدريس سبعة اعوام . (٦) ـ مارس الشاعر الصحافة في عدد من الصحف ، بدأها بجريدة « بيروت المساء » فكان محررا للشؤون الادبية والعربية ، ثم رئيسا لتحرير مجلة « رسالة التربية » ، كما حرر في صحف القاهرة ، والكويت ، والبحرين ، وتولى ادارة مكتب « اخبار الخليج » البحرينية في بيروت ، كما انتسب الى نقابة محرري الصحافة اللبنانية ، ثم نقابة الصحافة . (٧) ـ درس الشاعر الحقوق في بيروت ، وتابع دراساته العليا في كل من دمشق والقاهرة ، وانتسب عام ١٩٦٦ الى نقابة المحامين . (٨) ـ درس الشاعر الآداب ، بعد الحقوق ، في الجامعة اللبنانية ، ووضع مؤلفات عديدة نال تقديرا لها وسام الارز الوطني ، ووسام الانجازات الانسانية الفرنسي . (٩) ـ كانت ازمة لبنان قد تمادت طوال اربع سنوات من دون حل واضح لها . (١٠) ـ توفي وفيق عطوي ، شقيق الشاعر ، عام ١٩٦٧ . (١١) ليلى البيسار ، زوجة الشاعر . (١٢) شيرين ونادين ولبنى وكارولين ، بنات الشاعر .

فوزي عطوي

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

اديب اسحق — الكتابات السياسية والاجتماعية . جمعها وقدم لها ناجي علوش . بيروت ، دار الطليعة ، آذار (مارس) ١٩٧٨ .

١ — من المقدمة ، ص ٦ « ولسوف يتناول تقديمنا هذه المختارات ... سيرته الذاتية : ميلاده ، دراسته ، عمله ، نشاطه الصحفي ، وفاته ... » . وتنظر ص ٧ ...

صحيح « سيرته الذاتية » : سيرته . لان السيرة الذاتية autobiographie يكتبها الاديب نفسه عن نفسه . اما الذي يكتبه الآخرون عن حياة الاديب فهو سيرة (فقط) biographie

٢ — هامش ص ٨ ، ص ٩ : جورجي زيدان : الصحيح جرجي زيدان .

٣ — ص ١١ « حيث عمل وسليما سوية » : صحيح سوية : معا .

٤ — ص ١٧ « ان مقدمة جرجس نحاس لكتاب « الدرر » الصادر سنة ١٨٨٦ ، يورد ما نصه في المقدمة » .

التعبير مرتبك ، غير سليم ، يمكن ان يكون صحيحه : « يورد جرجس نحاس في مقدمته لكتاب الدرر الصادر سنة ١٨٨٦ ما نصه : » .

٥ — ص ٢٠ مؤلفاته .

لم يذكر ماذ كره يوسف اسعد داغر في كتابه مصادر الدراسة الادبية : « فكاهة العشاق ونزهة الاحداق (في الغزل) بيروت ، ص ٤٠ » وقد جاء لدى الزركلي في الاعلام من آثار اديب اسحق « نزهة الاحداق في مصارع العشاق — ط » « رسالة » . وفي معجم المطبوعات ان فكاهة العشاق طبعت سنة ١٨٧٤ . ويبدو ان داغرا اخذ عن هذا المعجم ... ، وذكر المعجم : الباريسية الحسناء .

٦ — ص ٢٢ « طبعات الدرر الثلاث » . يفهم من الحديث عن الطبعات ص ٢٢ — ٢٣ ، انها اربع طبعات لانه ذكر (١) طبعة جرجس ميخائيل نحاس ١٨٨٦ (٢) ثم طبع الكتاب مرة ثانية في اربعة اجزاء بمطبعة الآداب بالاسكندرية لصاحبها امين الخوري (٣) وهناك طبعة اخرى يبدو انها في جزئين صدرت سنة ١٩٠٥ (٤) ثم هناك طبعة سنة ١٩٠٩ صدرت في بيروت ... وقد اتبع (فيها) عوني اسحق النهج الذي اتبعه جرجس النحاس في طبعة سنة ١٨٨٦ تقريبا .

هي اذن اربع طبعات وليست ثلاثا . هذا وكانت طبعة عوني بالمطبعة الادبية ...

ولم تشر المقدمة الى ما نشرته دار مارون عبود ، بيروت ، فقد اصدرت هذه الدار سنة ١٩٧٥ : الدرر (مع مقدمة تحليلية بقلم مارون عبود) ، واصدرت — كذلك — من مؤلفات اديب اسحق : شارلمان (معربة) واندروماك (معربة) . واشارت الى « رسائل اديب اسحاق » و « ديوان اديب اسحاق » — وليس في علمي صدور الكتابين الاخيرين .

٧ — ص ٤٨ « وعند قيام الثورة العرابية كان اديب اسحق من دعاة الاعتدال في طلب الحرية فاستبدلت الثورة صحيفته بصحف اخرى » .

الصحيح : فاستبدلت الثورة بصحيفته صحفا اخرى . لان الباء في هذه الصياغة تدخل على المستبدل عنه ، المدفوع ...

٨ — ص ٦٠ « من قراءة عدد من المجلات والجرائد التي صدرت في زمانه ، والتي عرفنا منها ... » .

التعبير الصحيح : من قراءة عدد من المجلات والجرائد التي صدرت في زمانه ، وعرفنا انه كتب فيها ...

٩ — ص ٦٠ « ولا بد من الاشارة الى ان كثيرا من مقالاته التي اخترناها ، لم تكن موقعة باسمه . وقد دلنا عليها اسلوبه ، وقناعتنا بعد الدراسة انها من كتاباته » .

يشير الجامع بذلك الى منهجه في جمع مقالات اديب اسحق ، وانه ادخل في جمعه العتيد مقالات لم تكن موقعة باسم صاحبها ولكنه استدل عليه استدلالا ... وهذا منهج مع ذكائه يحمل مخاطر الوقوع في الخطأ ، واذا كان لا بد منه فيجب في هذه الحالة تمييز هذه المقالات غير الموقعة من المقالات الموقعة بعلامة ما ، ليكون القارىء على علم وحذر .

١٠ — ص ٦٧ : « فدفع » ، خطأ مطبعي ، صحيحه : فدمع .

١١ — ص ٧٢ : « لا تنهي الانفس عن غيها » : لا تنتهي ... ، تنظر ص ١٣٠ .

١٢ — ص ٧٨ :

ولي وطن آليت ان لا ابيعه وان لا ارى غيري له الدهر مالكا

قال الجامع في الهامش : البيت لأبي تمام .

الصحيح انه لابن الرومي . ينظر المختار الذي عمله كامل كيلاني من ديوان ابن الرومي ١٣/١ ، المنازل والديار لاسامة بن منقد ، تحـ. مصطفى حجازي ، القاهرة ١٩٦٨ ؛ وفي تتمة البيت :

فقـد الفته النفس حتـى كانه   لها جسد ان بان غودرت هالكا
وحبب اوطـان الرجال اليهـم   مـآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكـروا اوطانهم ذكرتهـم   عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

هذا ، ولم يكن من عادة الجامع ـ قبل هذا البيت ـ ان ينسب الابيات التي يستشهد بهـا اديب اسحق الـى اصحابها ، والا فان البيت ص ٤٥ :

فانمـا رجـل الدنيـا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل

من لامية الطغرائي المشهورة . وتنظر ص ١٤٥ .

١٣ ـ ص ٧٨ :

وجيش الجن ان قـد امرت لهم   يبنون تدمـر بالصفاح والعمـد

وفي الهامش : البيت غير مستقل الصدر .

لا بد ان يكون المقصود الصحيح بغير مستقل الصدر : غير مستقيم الصدر .

اما البيت فيمكن ان تكون روايته صحيحة او اقرب الى الصحة لو كان :

وجيش الجن اما قـد امرتهم   يبنون تدمـر بالصفاح والعمـد

او : قد امرت لهم . . . بالصفاح وبالعمد . . .

١٤ ـ ص ٩٦ :

يستحسن الخـز حـين يلمسه   وكـاد يبـري بظفـره القلـم

رواية الدرر ط. دار مارون عبود ص ١٠٩ :

يستخشن الخـز حـين يلمسه   وكـاد يبـرى بظفـره القلـم

،وهي الرواية الصحيحة .

١٥ ـ ص ٩٧ :

هو النار حتى يحجب الشمس عثير   تساوى به العين الصحيحة والرمدا
قالوا وقفت اقدامنا عـن طلابه   اذا لم تحل اشلاؤكم دونها سدا

قد يكون صحيح البيت الثاني :

فلا وقفت . . .

١٦ ـ ص ٩٨ :

كذبتم وبيـت الله لا تاخذونها   مراغمة مـا دام السيف قائم

قد يكون الصحيح : ما دام للسيف قائم .

١٧ ـ لا يذكر الجامع عادة مصادره عندما يحاول نسبة الابيات ، ولكنه ص ١٠٣ ، ص ١٠٦ ، ١٢٤ ، احال على ديوان المتنبي ، دار احياء التراث . . . ، وكان المفروض ان يحيل على طبعة علمية . . .

١٨ ـ ص ١٠٦ ربمـا كان صحيح « نجناهم » : نجفاهم .

١٩ ـ ص ١١٤ :

بغـاث الطـير اكثرها فراخـا   وام البـاز مقلال نـزور

الرواية الصحيحة للبيت :

بغـاث الطـير اكثرها فراخـا   وام الصقـر مقـلات نـزور

والمقلات التي لا يبقى لها ما تفرخه ، من القلت وهو الهلاك.

والبيت من مقطوعة للعباس بن مرداس اولها :

تـرى الرجـل النحيف فتزدريه   وفي اثوابـه اسـد مزيـر

وهي في حماسة ابي تمام ـ باب الادب . ينظر شرح المرزوقي ٣/١١٥٣ .

٢٠ ـ ص ١١٤ :

ما اكثر الناس لا بل ما اقلهم   والله يعلم اني لم اقل (. . .)
اني لاغلق عيني ثم افتحها   على كثير ولكن لا ارى احدا

الكلمة التي بين القوسين هي (فندا) . والبيتان لدعبل بن علي الخزاعي . وهما في المجموع الذي عمله الدكتور عبد الكريم الاشتر ص ٩٧ ، وروايته :

اني لأفتح عيني حين افتحها .

٢١ ـ ص ١٢٧ :

واذا رايت مـن الهلال نمـوه   ايقنت ان سيصير بـدرا كاملا

يقول الجامع في الهامش : المتنبي ، الديوان ، المرجع السابق .

وليس البيت للمتنبي ، وانما هو لابي تمام من قصيدة رثى بها ابني عبدالله بن طاهر وكانا صغيرين ـ ينظر ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ج ٤ ص ١١٥ .

٢٢ ـ ص ١٤٨ : « المعائب . . . من اللواتي يجرح النسيم خدودهن » الصحيح : « المعايب . . . خدودهن » .

٢٣ ـ ص ١٨١ :

الراي يصـدا كالحسام لعارض   يطـرا عليـه وصقله التذكـير

الصحيح : يطرا بتسهيل الهمزة .

٢٤ ـ ص ١٨٩ :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفاء   . . . ولـم يسمر بمكـة سامر

البيت من المشهورات وصحيح روايته :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا   سمير ولـم يسمر بمكة سامر

وفي لسان العرب : قال الجوهري : الحجون ، بفتح الحاء ، جبل بمكة . . . قال عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو يتاسف على البيت ، وقيل هو للحارث الجرهمي . . .

٢٥ ـ ص ١٩٧ « وما للغرب » : وما للمغرب . . .

٢٦ ـ ص ٢٥٥ « وهـو المدهش لا النوروز ولا المرجان . . . » الصحيح : ولا المهرجان .

٢٧ ـ ص ٢٩٩ : داحية دهماء . لعلها : دهياء .

٢٨ ـ ص ٣٢١ :

وقد تنبت الخضراء في دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

في لسان العرب (دمن) قال زفر بن الحرث :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٢٩ ـ ص ٣٧٧ :

ولا تبع عاجلا منها باجل مـا   ترجو فذلك امـر شانه الطول

الصحيح : شانه .

٣٠ ـ رجع الجامع كاتب المقدمة الى مراجع مهمة في دراسة « اديب اسحق » ، وكان من الممكن ان يستثير مراجع اخرى تنفع وتثري الدراسة . من ذلك :

جرجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ . وفي هامش الطبعة الثانية التي اشرف عليها الدكتور شوقي ضيف احالة الى مراجع اخرى منها كتاب شيخو ـ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢/١٣٣ ؛ تاريخ الصحافة العربية لطرازي ٢/١٠٥ ؛ ومعجم المطبوعات لسركيس

٤١٨ ؛ ورواد النهضة الحديثة لمارون عبود ١٨٣ ، وجاك تاجر ١٣٠ ؛ والاعلام للزركلي ، والمسرحية في الادب العربي الحديث لنجم ص ٢١٥ ؛ ومصادر الدراسة الادبية لداغر ١١١ وما بعدها .

علما ان كتاب مارون عبود طبع مرتين ، وان المقدمة التي تصدرت الدرر من طبع دار مارون عبود مستلة من هذا الكتاب ، وان الزركلي يشير الى مراجع اخرى منها مذكرات عناني ١٩٤ ؛ ومثله يفعل يوسف اسعد داغر . . .

(٢)

المسرحية بين النظرية والتطبيق ، تاليف محمد عبد الرحيم عنبر المحامي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦١ .

١ ــ المحامي . يذكر الناس عادة شهادتهم في مؤلفاتهم لتدل على تخصصهم بالموضوع فتزيد القارىء ثقة . . . اما « المحامي » فهي تقلل ، دون شك ــ من قيمة « التاليف » في « المسرحية بين النظرية والتطبيق » .

٢ ــ ص ٣ « لو تتبعنا نشأة المسرحية في البلاد الاوربية لوجدناها تقفوا اثر المسرحية الاغريقية . . . » .

تقفوا : تقفو .

٣ ــ « واول من قسم الفنون المسرحية في العصر القديم (ارسطو) في كتابه (الشعر) . . . » .

أ ــ ليس هذا صحيحا ، لان الاغريق كانوا ، قبل ان يكون ارسطو ، يعرفون التراجيدي والكوميدي وانواعا اخرى .

ب ــ في كتابه « الشعر » : فن الشعر ، او صناعة الشعر .

٤ ــ ص ٢١ « كما لو كانوا مجرمين او بلطجيةُ » .

بلطجية من العامية المصرية الصرف ، استعملها المؤلف وكانها من صميم الفصيحة .

٥ ــ ص ٢٣ « واهم مسرحيات شكسبير . . . (العاطفة) و (اقصوصة الشتاء) » .

الصحيح : العاصفة . . . حكاية الشتاء .

٦ ــ ص ٢٣ « ولكن الاديب الكبير تولستوي ــ الذي عاش منذ ٤٠٠ سنة » .

الصحيح : ان تولستوي توفي سنة ١٩١٠ .

٧ ــ ص ٢٧ « احجام الادب العربي عن التاليف المسرحي » : احجام (بكسر الهمزة) .

٨ ــ ص ٣٠ « ولعل اشهر كاتب مسرحي عربي في ذلك العصر شمس الدين محمد بن يوسف الخزاعي الذي ولد عام ٦٤٦ هـ في الموصل . . . ومات سنة ٧١٠ هـ » .

الصحيح : . . . محمد بن دانيال بن يوسف . . . ويفضل الزركلي في الاعلام عام ٦٤٧ تاريخا لميلاده .

٨ ــ ص ٢٨ « ارسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م) في كتابه (الشعر) . وكان ارسطو يكتب كتابه هذا وبين يديه مآسي الثلاثة الكبار . . . كما كان بين يديه ايضا ملاهي ارستوفان (٤٥٠ ــ ٣٨٥ ق.م) . . . » .

يرد القول في ص ٣ من دريني خشبة ــ اشهر المذاهب المسرحية ، القاهرة ١٩٦١ .

ويقول المؤلف ص ١٣١ ــ ١٣٢ « ولو انه ــ اي ارسطو ــ عرف ملاهي ارستوفان لكانت لديه مادة كافية لاصدار حكم واف عليها » .

وهو بهذا يناقض ما قاله ص ٢٨ .

٩ ــ ص ٣٩ : معتنقوا : معتنقو .

١٠ ــ ص ٤٨ « المذهب الرومانسي . . . ذلك ان كلمة (رومانسي) لم تظهر في انجلترا الا حوالي عام ١٦٥٤ . وكلمة (رومانس) كما كانوا يعرفونها في القرون الوسطى هي القصة الطويلة التي تصور المجتمع الارستقراطي بما فيه من فروسية ومغامرات بطولية وغرام عذري يصل الى درجة العبادة . . . » .

يرد القول في كتاب دريني خشبه مع تغيير بعض الكلمات . « فيصل » هنا : « تشبه » هناك .

والصحيح ان اسم المذهب الرومانسي (الرومانتيكي) لم يأت من الرومانس . ومما يوقع الباحثين العرب في هذا الخطا تجنبهم لفظ الرومانتيكية او الرومانتية وتفضيلهم لفظ الرومانسية ، فيتصورون حينئذ ــ انها جاءت من الرومانس ويعودون الى القرون الوسطى وعام ١٦٥٤ . . . على حين كانت الرومانتيكية اواخر القرن الثامن عشر حتى اواسط التاسع عشر . . .

١١ ــ ص ٥٤ « قصص الحياة الواقعية . وكان الجمهور يقبل . . . حتى يكادوا يلتهمونها التهاما كقطع المارون جلاسيه » .

قال دريني خشبه في كتابه اشهر المذاهب المسرحية : « وكانت اوربا تقبل على قصص هؤلاء الكتاب العظماء وقصص اضرابهم فتلتهمها التهاما » .

وليلاحظ ان « المارون جلاسيه » هي نوع من المرطبات من مواده الرئيسة الكستانة .

١٢ ــ المذهب الطبيعي ص ٥٧ « . . . دارون . . . ومن زعماء هذه المدرسة الاخوان دي جونكور وادمون . . . وجول . . . وتولستوي (١٨٢٨ ــ ١٩١٠) » .

أ ــ الاخوان دي جونكور وادمون . . . وجول صحيحها الاخوان دي جونكور : ادمون . . . وجول .

ب ــ ما علاقة تولستوي الروسي بالطبيعية الفرنسية ؟

ج ــ ولا تسل ــ بعد ذلك ــ عن تفسير الطبيعية (ص٥٩) .

١٣ ــ ص ٥٧ « والفرق بين المذهبين الواقعي والطبيعي يتضح من مجرد النظر اليهما فالشيء الطبيعي هو الشيء المنسوب الى الطبيعة كما خلقها الله . . . الطبيعة

التي لم تتاثر بالعوامل الخارجية التي يضعها المجتمع » .

قال خشبة : « ... والفرق بين المذهبين يتضح من مجرد النظر في اسم كل منهما ... فالشيء الطبيعي هو المنسوب الى الطبيعة ... الطبيعة كما خلقها الله ... الطبيعة التي لم تتاثر بالعوامل الخارجية الطارئة والتي يصنعها المجتمع في الغالب » — ص ١٢٣ .

ما اشد التطابق ؟ ولو كان الفرق بين المذهبين على هذا الشكل وهذه السهولة لما احتجنا الى تفريق !

١٤ — ص ٦٠ « وخير من لخص المذاهب الطبيعي وحدده اميل زولا زعيم هذه المدرسة ، في عام ١٨٨١ تحت عنوان الطبيعة في المسرح ... » .

الصحيح : الطبيعية في المسرح .

١٥ — ص ٦٥ « المذهب الرمزي ... ص ٦٨ والادب العربي من اغنى الاداب العالمية بالرمزية ... كالف ليلة وليلة ، ورسالة الغفران ، ومقامات الحريري ... » .

وقال خشبة ص ١٦٥ « والادب العربي من اغنى الاداب العالمية بالادب الرمزي ... كالف ليلة وليلة ورسالة الغفران وحي يقظان والمقامات » .

ما اشبه ذلك بهذا ! .. وما ابعدهما عن الصواب !

لا علاقة لهذه الكتب بالمذهب الرمزي ... ولو كانت لها اية علاقة لهان الأمر ...

١٦ — ص ٧١ « فمسرحية يوجين يونسكو « الغنية الصلعاء » .

الصحيح : المغنية الصلعاء ، وهو من الخطا المطبعي .

١٧ — ص ١٦٣ بناء المسرحية ، ص ١٦٥ « وقال الكسندر ديماس الابن (١٨٢٤ — ١٨٩٥) مؤلف الكونت دى مونت كريستو ، والفرسان الثلاثة ، وغادة الكاميليا ... » .

ا — ذكر الكونت دي مونت كريستو والفرسان الثلاثة لا ينفع لانهما قصتان اولا ، ولانهما لالكسندر ديما الاب وليستا للابن .

ب — غادة الكاميليا لديما الابن ، الفها اول الامر رواية ثم حولها الى مسرحية .

١٨ — المراجع ص ٢٧٣ ذكر : اديب — ترجمة د. طه حسين. والصحيح انها اوديب ، ولكن التي ذكرها هنا ليست أوديب سوفوكليس التي وردت لطه حسين في كتابه من الادب التمثيلي اليوناني ، وانما هي اوديب اندره جيد .

ولم يرد ذكر كتاب دريني خشبة : اشهر المذاهب المسرحية بين المراجع ، والحقيقة ان الكتابين طبعا في سنة واحدة (١٩٦١) ، وقد يكون المؤلفان قد اغترفا من مصدر واحد ، واشك ان يكون مصدرا اجنبيا يحتوي على مثل ما راينا من خطا .

(٢)

المدارس المسرحية وطرق اخراجها من الاغريق الى الآن — تاليف جمعة احمد قاجه ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، د.ت. (تاريخ المقدمة ١٩٧٥) .

١ — العنوان ضخم جدا ويحتاج صاحبه الى جراة كبيرة جدا لكي يفكر في خوض عالمه .

٢ — اذا كان المؤلف (ولد عام ١٩٤٤) قد حصل على درجة الماجستير في الفنون المسرحية عام ١٩٧٥ م من اكاديمية الفنون بالقاهرة ، فمعنى ذلك انه ألفه وهو تلميذ او انه الفه في عدد محدود من الشهور .

٣ — يستحيل على مؤلف عربي ان يطرق هذا الموضوع الواسع الذي يصعب طرقه على الغربيين انفسهم فضلا عن ان المؤلف لم يستثمر في عمله اي مرجع بلغة اجنبية .

٤ — بلغت مراجع الكتاب عشرين مرجعا اكثرها مترجم ومنها ما لا علاقة له بالمدارس المسرحية ، ومنها كتاب « المسرحية العالمية بخمسة اجزاء » جعله خمسة كتب .

٥ — قلنا سابقا ان كلمة « المحامي » لا تخدم كتابا يحمل اسم « المسرحية ... » ، فلنقل هنا ان عبارة « خريج اكاديمية الفنون بالقاهرة » لا تعني حتما القدرة على التاليف في المدارس المسرحية .

٦ — ص ١٠ « اول من وضع قوانين المسرح الكلاسيكي هو ارسطو في كتابه « الشعر » وكانت بين يديه مسرحيات المؤلفين الكلاسيكيين الثلاثة الكبار ... كما كانت امامه ايضا ملاهي ارستوفانز » .

راينا هذ االكلام عند المحامي وعند خشبة .

ولم يضع ارسطو قوانين المسرح الكلاسيكي في كتابه الشعر لان « المسرح الكلاسيكي » معروف قبله وقبل كتابه ، وكذلك قوانينه . والذي فعله ارسطو دراسة مسرحيات ، واستنباط من الدراسة ... ثم اتخذ المتاخرون كلامه قواعد للمسرح الكلاسيكي ...

٧ — ص ٢٨ « الرومانس ... الخ » .

راينا الكلام عند خشبة وعند المحامي وهو هنا اقرب الى خشبة .

٨ — ص ٤٠ المدرسة الطبيعية والمذهب الواقعي ...

راينا الكلام عند خشبة والمحامي ...

٩ — ص ٤١ « لقد ضعفت سطوة المذهب الرومانسي في اوربا عندما اشتاق الناس الى ان يحدثهم الادباء عن حياتهم الواقعية . وبالفعل ظهر كتاب عظماء يلبون هذه الحاجة الجماهيرية ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر ... وكان ابطال هذا المذهب الواقعي هم ستندل (١٧٨٣ — ١٨٤٢) وبلزاك (١٧٩٩ — ١٨٥٠) وفلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) في فرنسا ودي فو (١٦٦٠ — ١٧٣١) وفيلدنج

(١٧٠٧ — ١٧٥٤) في انجلترا يكتبون القصص الواقعية الشائقة ينتزعون احداثها من الحياة الواقعية السليمة وكانت اوربا كلها تقبل على نتاج هؤلاء ... وقصص امثالهم فتلتهمها التهاما ... » .

ا — لا تنشأ المذاهب اشتياقا .

ب — لم تضعف سطوة المذهب الرومانسي في اوربا ... ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر ... لانه نشأ وبدأ ينشأ في اواخر القرن الثامن عشر ليمتد الى التاسع عشر ...

ج — ان ستندال وبالزاك يدعيهما المذهب الواقعي ، ولكنهما نشآ في اكناف المذهب الرومانتيكي .

د — صحيح غلوبير : فلوبير . وصحيح غيلدنج : فيلدنج .

هـ — يتحدث المؤلف عن اواخر القرن الثامن عشر ويذكر دي فو الذي توفي سنة ١٧٣١ وفيلدنج الذي توفي سنة ١٧٥٤ فاين هما من اواخر القرن الثامن عشر !

و — موضوع الكتاب المدارس المسرحية وطرق إخراجها ، وهو يتحدث هنا عن قصاصين عملوا على تطوير الفن القصصي نحو الواقع ...

ز — جاء في كتاب دريني خشبة — اشهر المذاهب المسرحية ص ١٢٣ « ضعفت ريح المذهب الرومنسي في فرنسا ، وفي كثير من امم اوربا وامريكا ، واشتاق الناس الى ان يحدثهم الادباء عن حياتهم الواقعية . وبالفعل اخذ القصاصون العظماء امثال ستندال (١٧٨٣ — ١٨٤٢) وبلزاك (١٧٩٩ — ١٨٥٠) وفلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) في فرنسا . ودي فو (١٦٦٠ — ١٧٣١) وفيلدنج (١٧٠٧ — ١٧٥٤) في انجلترا ، يكتبون القصص الواقعي الشائق ينتزعونه من الحياة الواقعية الصميمة . وكانت اوربا كلها تقبل على قصص هؤلاء الكتاب العظماء وقصص اضرابهم فتلتهمها التهاما » .

لقد نشر خشبة كتابه سنة ١٩٦١ ومع ان في كلامه ما يمكن مناقشته الا ان صاحبه يعلم جيدا انه يتحدث عن قصص وانه لم يحدد التغير بأواخر القرن الثامن عشر .

ثم جاء مؤلف « المدارس المسرحية » فتصرف على هواه ... فزاد في الخطأ وخرج بالمادة الى التشويه .

١٠ — « في السنين التي سبقت ظهور البيان الخاص بالحركة الرمزية ، كان هناك كتاب مسرحيون في باريس يحاولون الاحتفاظ بالروح الشاعرية فوق المسرح ... فرانسوا كوبي ... في ... مسرحية (في سبيل التاج) ١٨٩٥ ... اموند روستان وهو مؤلف ... ، ١٨٩٤ ... ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٧ ... » .

ا — كوبي : كوبه Coppée

ب — اموند : ادمون

ج — ظهر البيان الخاص بالرمزية في جريدة الفيكارو في ١٤ من ايلول سنة ١٨٨٦ وهذا يعني ان التواريخ المذكورة تحدد اعمالا لحقت ظهور البيان (ولم تسبقه .

١١ — تحدث المؤلف عن موريس ماترلنك ... وذكر له تسع مسرحيات ثم قال : « ولا يسعنا الا الاعجاب بالبراعة الماثلة في هذه القطع المسرحية » .

ونحن نسأل : هل قرأها ؟ وباية لغة ؟ ولم هذا الحكم ؟

١٢ — قدم للكتاب الاستاذ نبيل نايف الالفي — عميد المعهد العالي للفنون المسرحية السابق بمصر ، مدير عام قطاع المسرح بجمهورية مصر العربية . ولم يكن الاستاذ الالفي يجهل « ضعف الكتاب » بدليل عدوله عن المقدمة بالمعنى الصحيح الى « كلمة » عامة تشرح حكايته مع الكتب ، ختمها بسطور عن « حكايته » مع « هذا الكتاب » . اثنى عليه ثناء قليلا في غير محله . ثم تهرب من الحكم قائلا : « فهل نجح الاخ جمعة عطية مؤلف هذا الكتاب ؟ والى اي مدى استطاع ان يحقق هدفه الضخم ؟ اسئلة كثيرة من هذا القبيل ، لا احب الانفراد بمعالجتها وحدي ، ويستطيع القارىء ان يشارك في الاجابة عليها بعد قراءة الكتاب » .

في هذا الموقف كثير من السخرية بالذات وبالمؤلف وبالقارىء . كان المناسب بالاستاذ الالفي ان ينصح المؤلف بالتريث ان لم ينصحه بالكف حرصا على الورق وتوفيرا للمال ... وحماية لمعنى البحث .

(٤)

المسرح العربي من اين والى اين — الدكتور سلمان قطايه ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٧٢ .

١ — ص ٢٠ — ٢١ « اذا امعنا في هذه الترجمات — ترجمات خليل مطران — لوجدناها تتجاوب ايضا مع روح ونفسية الارستقراطية المصرية آنئذ ... فهي مغرقة في التقعر والفذلكة والبحث عن الكلمات الغريبة ... » .

لعله يريد بالفذلكة : الحذلقة . والا فالذي اعرفه عن الفذلكة انها تستعمل بمعنى المقدمة للشيء او التمهيد بما هو منه . ومن الامثلة التي تذكر هنا ، ما فعله جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » قال ٢٨٩/٤ (ط ٢) وهو يقبل على العصر العثماني : «فذلكة تاريخية» .

٢ — ص ٥١ « المقامات ... بديع الزمان ... تهمني شخصية ابي الفتح الاسكندرية ... » وفي الهامش « نسبة الى ميناء الاسكندرية في الاندلس » .

لا توجد « اسكندرية » في الاندلس ... لان الاسكندر لم يمر بها . وقد عدد ياقوت (١٨) اسكندرية ليس بينها واحدة اندلسية .

٣ — ص ٥٥ — ٥٦ « ... التعزية : قتل الحسين في العاشر من محرم « العاشوراء » بكربلاء ... ومنذ ذلك اليوم والشيعة يعيدون ذكرى مصرع الحسين بتمثيلية عرفت بالتعزية . وبدأت في كربلاء والنجف وامتدت مع

انتشار الشيعة كمذهب ، ... والنص يعرف باسم (المصرع) وهو يتالف من حوار نثري وشعري مع خليط من مقاطع ماخوذة عن اساطير بابل وآشور كاسطورة الاله تموز و ... ادونيس ... » .

أ — ليس هذا الذي ورد عن التعزية تعريفا لها ، لان التعزية مجالس تعقد في البيوت والمساجد على ذكر الحسين ...

ب — المصطلح المستعمل الذي يتصل بالتمثيل هو : التشبيه .

ج — لا يسمى النص « المصرع » وانما يسمى « المقتل » ، وهو من تاليف ابي مخنف او بمعنى ادق : برواية ابي مخنف .

د — ليس في المقتل شيء من اساطير بابل وآشور ...

هـ — لم يبدأ ذلك بعد مقتل الحسين مباشرة ... وانما بعد مدة ... تبلغ قرونا ...

٤ — ص ٦٠ « خيال الظل ... واهم من اشتغل في هذا الفن هو شمس الدين بن محمد دانيال يوسف الخزاعي العربي ولد عام ٦٤٦ هـ/١٢٣٨ م بام الربيعين ... ويصفه ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان ... توفي بالقاهرة عام ٧١١ هـ/١٢١١ م ... وقد نشرت هذه المسرحيات لاول مرة بالعربية عام ١٩٦٣ في القاهرة في سلسلة تراثنا مع تحقيق علمي دقيق بقلم ابراهيم حمادة ... » .

أ — ورد اسم ابن دانيال مضطربا صحيحه : شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي .

ب — ام الربيعين هي الموصل .

ج — لم يصفه ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان لان ابن خلكان انتهى من كتابه عام ٦٧٢ وتوفي عام ٦٨١ ولم يترجم في كتابه الا للمتوفين الذين يعرف تاريخ وفياتهم . وقد توفي قبل وفاة محمد بن دانيال بحوالي ثلاثين سنة .

الذي تحدث عن محمد بن دانيال صاحب فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٣٠/٣ — من تحقيق الدكتور احسان عباس وورد لديه ان « وفاته في شهور سنة عشر وسبعمائة » ، وصاحب الوافي بالوفيات الصفدي ٥١/٣ ، وجاء في كتاب الدرر الكامنة ٥٤/٤ — ٥٦ انه توفي في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ . وينظر زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ١٢١/٣ (ط ٢) .

د — طبعت « المسرحيات » قبل هذا التاريخ ... ايضا .

٥ — ص ٦٦ « المسرح الاخباري : وهو منتشر في العراق وذو شكل شعبي محض ، ومحواه ان شاعرا او غنانا ياتي مع زميل له فيقفان في ساحة القرية او البلد فيجتمع حولهما الناس ، فيسردان خبرا ما ثم يبدآن بالتعليق عليه نثرا وشعرا مقلدين اصحاب الخبر وابطاله » .

ليس لهذا المسرح وجود في العراق ...

وارجو الا يكون كلام المؤلف مبالغة وتوسيعا لخبر رواه التاريخ عن متسولين كانا يقفان على الجسر من بغداد ... الخ .

(٥)

دراسات في تاريخ الدولة العباسية — تاليف الدكتور حسن الباشا ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ .

١ — ص ٧٧ « الزنج ... وادعى زعيم هذه الحركة (وكان يسمى بهبوذ) انه علي بن محمد ... » .

كان الدكتور عبد العزيز الدوري قد الف كتابا بعنوان « دراسات في العصور العباسية المتأخرة » ذكر فيه ان اسم صاحب الزنج بهبوذ ورجعت الى الطبرى في حينه فوجدت ان بهبوذ اسم صاحب صاحب الزنج وليس صاحب الزنج نفسه .

٢ — ص ٩٧ « كان بنوبويه بصفة خاصة غلاة في التشيع : فكان جلال الدولة مثلا يكثر من زيارة مشهدي علي بن ابي طالب والحسين وكان يمشي حافيا مسافة طويلة قبل ان يصل الى كل مشهد » .

أ — ليس هذا غلوا ، لان الغلو في التشيع امر معروف في كتب الفرق ، والغلاة معروفون ، ولم يقل احد ان البويهيين منهم .

ان هذا حب وتقدير ... وما الى ذلك . ثم ما قيمة جلال الدولة في البرهنة على الموضوع وهو ملك بويهي ضعيف متأخر (٤١٦) ! وكان المفروض ان يضرب المثل بمعز الدولة او عضد الدولة او بهاء الدولة ...

٣ — السلاجقة ، ص ١٢٩ « وفاة السلطان محمد في سنة ٥١٢ هـ » .

الصحيح : في ٢٤ ذي الحجة من عام ٥١١ .

٤ — ص ١٣٥ « المدرسة النظامية التي اسسها نظام الملك في بغداد ضمن المدارس الكثيرة التي عرفت بالنظامية نسبة اليه والتي انشأها لتعليم الدين حسب المذهب السني ... » .

الصحيح : انه انشأها للمذهب الشافعي فقط .

٥ — ص ١٤٠ « الحسن بن الصباح (ت ٥٢١ هـ) ... استولى في سنة ٤٨٣ هـ على قلعة الموت ... » .

أ — لئلا تلفظ الاسماء على ظاهرها حسن التنبيه الى ان الصباح بتشديد الباء ، والموت كلمة واحدة وليست (ال) و (الموت) ، وهي لدى الزركلي في « الاعلام » Alamout ، ووفاة ابن الصباح سنة ٥١٨ ، وفي دائرة المعارف الاسلامية Alamût .

(٦)

حولية الجامعة التونسية — كلية الآداب ، العدد ١٥ ، السنة ١٩٧٧ : « **الشريف الرضي والشريف المرتضى** » نقيبا الطالبيين بقلم الحبيب الشاوش .

١ ــ ص ١٨ « لم تخصص لهما دراسات علمية شاملة ، ما عدا مقالات قصيرة نسبيا فيما ظهر من كتب حديثة ــ انظر قائمة المصادر والمراجع » .

ا ــ لم تحو قائمة المصادر والمراجع كتاب الدكتور احسان عباس عن « الشريف الرضي » بيروت ، دار صادر .

ب ــ ولم تحو كتاب الدكتور عبد الرزاق محي الدين « ادب المرتضى » ، بغداد ١٩٥٧ . وللسيد محمد الحيدري رسالة في التعليق عليه .

ج ــ ولم ترجع الدراسة بصدد الشريف الرضي الى كتاب الدكتور محمد مهدي البصير « في الادب العباسي » وقد طبع ثلاث مرات . وفيه دراسة كذلك عن مهيار الديلمي .

٢ ــ لم تتحدث الدراسة عن الشيخ المفيد بين اساتذة الشريف الرضي وهو مهم جدا .

٣ ــ ص ٣٦ « لم نجد شيئا يذكر بخصوص عائلة الشريف الرضي ... وابنائه في المصادر والمراجع التي اعتمدناها ... » .

للشريف الرضي ــ في المصادر ــ ولد اسمه عدنان بلغ من الشان ان ولي نقابة الطالبيين . وهو مذكور في المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة مثل المنتظم لابن الحوزي ١٨٩/٨ ، وكذلك الكامل لابن الاثير ...

ولد عدنان سنة ٤٠٠ وتوفي سنة ٤٤٩ .

بل ان المؤلف نفسه سيذكر ص ٤٨ لدى الكلام على الشريف المرتضى : « وولي النقابة بعده ، ابن اخيه ، عدنان بن الشريف الرضي » .

٤ ــ مسالة تلمذة الشريف الرضي لابن الحجاج ، مسالة افتراضية ، بعيدة جدا عن متناول التصديق ، ولا موجب لها .

٥ ــ ص ٤١ « وقد عني بجمع ديوانه ــ ديوان الشريف الرضي ــ ... جماعة منهم ابو حكيم الخيري » .

صحيح الخيري : الخبري بفتح الخاء وسكون الباء نسبة الى « خبر » بليدة قرب شيراز .

٦ ــ ص ٤١ « طبع هذا الديوان : طبعة اولى : بومباي ... طبعة ثانية : بيروت ... وقد رتبت فيها القصائد ترتيبا هجائيا (انظر الوفيات) على غرار المخطوطتين الموجودتين بالمتحف البريطاني . وتوجد في احدى هاتين المخطوطتين المراثي مفصولة عن باقي شعره ... » .

ا ــ لم يدل الباحث على انه اطلع على المطبوعتين ، ولم تشر قائمة المصادر والمراجع اليهما . ولم يدل على علم بمخطوطات الديوان في باريس وهي اقرب اليه من لندن .

ب ــ قال الباحث ص ٤٢ « طبعة ثالثة : شرح ديوان الشريف الرضي ، لم . م . عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩/١٣٦٨ (تاريخ ظهور الجزء الاول) ... » .

وهذا الجزء الاول كل ما اصدره الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

ج ــ للديوان طبعة اخرى لم يشر اليها الباحث ، هي التي صدرت في بيروت عن (دار صادر ، دار بيروت) ١٩٦١ معتمدة على طبعة بيروت السابقة .

د ــ واعيدت طبعة بيروت الاولى تصويرا بالاوفست ،

ومن المفيد ان نذكر ان الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو حقق ديوان الشريف الرضي بصنعة ابي حكيم الخبري تحقيقا علميا ، صدر منه الجزء الاول في بغداد ١٩٧٧ (عن وزارة الاعلام ــ وزارة الثقافة والفنون) .

٧ ــ ص ٤٣ « مؤلفات ... الرضي ... النثرية ... تلخيص البيان في معجزات القرآن » . الصحيح : ... في مجازات القرآن (تنظر ص ٤٧ ، ٧٣) .

٨ ــ ص ٤٣ « كتاب نهج البلاغة » ... نشره الهادي كاشف الغطاء ، بالنجف (العراق) ١٣٥٤ .

الذي عمله الهادي كاشف الغطاء : « مستدرك نهج البلاغة » .

٩ ــ ص ٤٨ : الشيخ المفيد شيخ مشائخ الطائفة .

صحيح مشائخ : مشايخ .

١٠ ــ ص ٥٩ « كان الشريف المرتضى ... شاعرا وله ديوان شعر ، الا اننا لم نعرفه » .

ديوان الشريف المرتضى مطبوع بتحقيق رشيد الصفار ، ثلاثة اجزاء ، القاهرة ١٩٥٨ .

١١ ــ ص ٦١ « امالي المرتضى ... طبع ... بتحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ... » .

للامالي طبعة قبل هذه الطبعة .

١٢ ــ ص ٧٢ ــ ٨١ « المصادر والمراجع » .

ا ــ « حقائق التاويل ... ط . محمد كاشف الغطاء ... » الصحيح : محمد رضا آل كاشف الغطاء . وقد يكون الباحث قد مال الى الاختصار ، ولكن الاختصار غير دقيق لان الاسم الاول للمحقق هو رضا ثم حمد فصار محمد رضا .

ولمحمد رضا آل كاشف الغطاء كتاب بعنوان ترجمة الشريف الرضي صدر سنة ١٩٤١ لم يطلع عليه الباحث .

ب ــ لم يرجع الباحث الى كتاب المجازات النبوية من مؤلفات الشريف الرضي ، وهو مطبوع .

ج ــ من المراجع التي لم يشر اليها كتاب « الحماسة في شعر الشريف الرضي » لمحمد جميل شلش ، بغداد ، ١٩٧٤ .

د ــ نشر للشريف المرتضى بعض من رسائله ، في العراق ... بتحقيق محمد رشيد الصفار او الشيخ محمد حسن آل ياسين .

كم كان مناسبا ان يراسل الاديب الباحث التونسي اديبا باحثا عراقيا ... استكمالا للبحث واستثمارا للجهد .

(٠٧)

البلاغة تطور وتاريخ — دكتور شوقي ضيف : القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥ .

١ — طبع الكتاب طبعة ثانية (دون تاريخ) ، وطبعة ثالثة سنة ١٩٧٦ — كل ذلك عن الدار نفسها والمطبعة نفسها على طريقة الطبع (المونوتيب) الذي تبقى فيه الطبعة الاولى هي هي حرفا حرفا ...

واذا كان في هذا فوائد مالية للدار فانه لا يخلو من اضرار بالمؤلف وبالقارىء ... وبالمادة العلمية نفسها لان الخطأ — ان وجد — في الطبعة الاولى يظـل يتكرر ، والمعلومات او الآراء التي كانت تبدو صحيحة في الطبعة الاولى تبقى كما هي وان وجد ما اثبت خطأها او استدعى زيادتها او مناقشتها .

٢ — ص ٦٣ « يتبلون » .

تكررت ولعلها : يقبلون .

٣ — ص ٧٠ « ... غموض المعاني ودقتها مما سماه ابن المعتز باسم المذهب الكلامي ناقـلا للتسمية عـن الجاحظ » .

لا يكاد كلام ابن المعتز يحدد شيئا من امر المعاني في غموضها او دقتها بل ان كلامه يستنكر هذا الباب من البديع ، وقد جاء فيه : « وهذا باب ما اعلم اني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » .

هذا لدى الاستشهاد بابن المعتز ، اما اذا سرنا مع تطور مفهوم المصطلح ونظرنا في الامثلة التي ذكرها ابن المعتز والامثلة التي ذكرها الذين جاءوا بعده ووجدوا المذهب الكلامي في القرآن ، فاننا نرى فيه عقلا وتعليلا ومحاجة ولا نرى غموضا — وقد عرض الدكتور احمد مطلوب تطور المصطلح في كتابـه « فنون بلاغية : البيان — البديع » صص ٢٨٧ — ٢٩٠ . ولا غرو ان وجد من القدماء من سماه « الاحتجاج النظري » .

٤ — ص ٧٤ « وكان اللغوي الوحيد الذي شذ على ذوق اللغويين هو ابن قتيبة » .

صحيح شذ على : شذ عن .

٥ — ص ١٠٨ ، الباقلاني « يرد ردا عنيفا على من عللوا لاعجاز القرآن بالصرفة (بكسر الصاد) او بعبارة اخرى بصرف العرب عن معارضته ... الصرفة (بكسر الصاد) ... » .

الصحيح الصرفة ، بفتح الصاد . وقد وردت مفتوحة الصاد في الكتاب نفسـه ص ١٥٢ .

٦ — ص ١٢٣ « عيار الشعر لابن طباطبا . مصنف هذا الكتاب محمد بن احمد بن طباطبا العلوي الاصبهاني ، المتوفي سنة ٣٢٢ هـ ، كان من شعراء عصره ونقاده » .

وفي الهامش « انظر في ترجمة ابن طباطبا معجم الادباء ١٤٣/١٧ وكتابه « عيار الشعر » نشرته المكتبة التجارية بالقاهرة » .

مهم ان يذكر ان الكتاب صدر — عن المكتبة التجارية — بتحقيق دكتور طه الحاجري ودكتور محمد زغلول سلام (١٩٥٦) فاليهما يرجع فضل نشر الكتاب (للمرة الاولى) ، ومن ثم تيسر امر مراجعته للباحثين .

٧ — ص ١٢٨ « الموازنة ... مؤلف هذا الكتاب ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفي سنة ٣٧١ للهجرة ... » .

وفي الهامش : « ... طبعت الموازنة ... بدار المعارف بتحقيق سيد أحمد صقر وقد ظهر من الطبعة الاخيرة الجزء الاول فقط » .

هكذا ورد في هامش الطبعة الاولى (١٩٦٥) وهو صحيح في ذلك التاريخ . ولكنه غير صحيح في تاريخ اعادة طبع الكتاب وقد كانت طبعته الثالثة سنة ١٩٧٦ ، فقد صدر مـن الموازنة بتحقيق سـيد احمد صقر الجـزء الثاني ، واعيد طبع الجزء الاول سنة ١٩٧٢ ، وطبع الجزء الثاني ١٩٧٣ .

وليلاحظ ان من الروايات مـا يجعل وفاة الآمدي سنة ٣٧٠ ، وقـد التزم محقق الموازنة بهـذا التاريخ (٣٧٠ هـ) .

٨ — ص ٢٧٤ « الفخر الرازي ... يعد اول من هيأ لاتجاهات التخليصات البلاغية ، وربما شركه في ذلك معاصره عبد اللطيف البغدادي في كتابه « قوانين البلاغة » غير ان هذا الكتاب مفقود ، وليس بين ايدينا نقول كافية منه تصور عمله .

« ... ولد فخر الدين محمد بن عمر الرازي سنة ٥٤٤ » وتوفي سنة ٦٠٦ .

ا — ليس عبد اللطيف البغدادي بلاغيا في اول ما يتبادر الى الذهن منه ، واذا ورد في بعض اخباره نسبة كتاب باسم « قوانين البلاغة » اليه ، فقد يكون في ذلك ما يدعو الى المناقشة والتثبت .

اكثر مؤلفاته في الحكمة والطب ... واشتهر بانه رحالة ، وله في ذلك « الافادة والاعتبار بما في مصر من الآثار » وهو مطبوع .

ولد عبد اللطيف البغدادي سنة ٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ .

ب — يحسن ، في حالة رواية خبر نادر ، مثل ذكر كتاب « قوانين البلاغة » هذا ، احالة القارىء على المصدر الذي ذكره ، وقد ورد في « فوات الوفيات » من الكتب القديمة ، و «الاعلام» من الكتب الحديثة ، وكان «الفوات» من مصادره .

ج — ما الدليل على ان « قوانين البلاغة » لو صح ان يكون لعبد اللطيف البغدادي ، كتاب تلخيصات اذا كنا لا نملكه ؟

د ـ يقول المؤلف «ليس بين ايدينا نقول كافية منه» . فهل لدينا نقول غير كافية ؟ واين ؟

هـ ـ هناك رسالة لابي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفي سنة ٥١٧ هـ بعنوان « قانون البلاغة » نشرها المجمع العلمي بدمشق في المجلد السابع ثم ضمها كتاب « رسائل البلغاء » لمحمد كرد علي منذ طبعته الثانية ١٣٣١/١٩١٣ . وكان مناسبا ان يكون لهذه الرسالة مكان ما من كتاب « البلاغة تطور وتاريخ » .

الطبعة الثالثة من رسائل البلغاء ، القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٦٥/١٩٤٦ .

٩ ـ ص ٢٧٥ « من يرجع الى كتاب « حدائق السحر ودقائق الشعر » ... يراه ... » .

الصحيح : من يرجع ... يره .

١٠ ـ ص ٢٧٦ « من يقرن مباحث البلاغة العربية الى مباحث البلاغة الغربية يلاحظ توا ان الغربيين عنوا في بلاغتهم بدراسة الاساليب والفنون الادبية ... » .

كيف يلاحظ القارىء توا اذا لم يكن عارفا بمباحث البلاغة الغربية ؟ كم كان مناسبا ذكر كتاب او كتابين من الكتب الغربية التي تحمل لفظ « البلاغة » ويكون التبويب على الاساليب والفنون الادبية .

١١ ـ ص ٩٣ « كتاب نقد النثر او كتاب البرهان في وجوه البيان .

نشر طه حسين وعبد الحميد العبادي في سنة ١٩٣٢ رسالة محفوظة بمكتبة الاسكوريال بعنوان « نقد النثر » منسوبة لقدامة وقد كتب ناسخها في خاتمتها « كمل (البيان) بحمد الله تعالى وحسن عونه » وكأن الاسم الحقيقي للرسالة هو « البيان » لا « نقد النثر » ... وقد تشكك طه حسين في نسبتها الى قدامة بن جعفر ...

وبينما الشك يلف الكتاب وصاحبه اذا علي حسن عبد القادر ينشر مقالا له في سنة ١٣٦٨ هـ/١٩٤٨ م بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق يقول فيه ان هذا الكتاب الذي طبع باسم « نقد النثر » ونسب خطا الى قدامة انما هو جزء من كتاب « البرهان في وجوه البيان » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب عثر عليه في بعض المكتبات الاوربية . وبذلك خرجت المسالة من باب الشك الى باب اليقين ... » ومضى الدكتور شوقي ضيف ينقل نصوصا من « نقد النثر » ما بين ص ٩٣ ـ ص ١٠٢ .

وكلامه وجيه اذا قيل سنة ١٩٦٥ لدى الطبعة الاولى من كتاب « البلاغة تطور وتاريخ » ولكنه غير مناسب ان يبقى يتكرر مع تعدد طبعات الكتاب حتى عام ١٩٧٦ (وربما بعده) ، لسبب بسيط خلاصته ان كتاب « البرهان ... » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب قد طبع مرتين واحدة في بغداد سنة ١٩٦٧ بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتوره خديجة الحديثي وثانية في مصر (ربما سنة ١٩٦٨) بتحقيق حفني محمد شرف . ومناسب جدا ان يستفاد من طبع الكتاب لدى الكلام عليه وان يستفاد من المادة التي لم يحوها الكتاب الذي اخرجه طه حسين والعبادي باسم نقد النثر .

اجل ، ان الطبعات الجديدة من « البلاغة تطور وتاريخ » تجرى وكأن « البرهان » لم يطبع ...

وكان من الممكن كتابة مقدمة جديدة للطبعات الجديدة او زيادة ملحق يبين فيه المؤلف المهم مما جد بعد الطبعة الاولى مصححا الخطأ ـ ان وجد ـ ومكملا النقص ... حرصا على المؤلف والقارىء ... والكتاب .

(٨)

روسو ـ تاليف موريس شربل وميشال ابي فاضل ؛ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ سلسلة اعلام الفكر العالمي ، آب ١٩٧٨ .

١ ـ ص ١٤١ « فمنهم الملحدين ... ومنهم الكاثوليليين المؤمنين » .

الصحيح : فمنهم الملحدون ومنهم ... الكاثوليكيون المؤمنون .

٢ ـ ورد اسم كتاب واحد لروسو على صورتين . الاولى « تأملات متنزه منفرد » ص ١٤١ ، الثانية « هواجس متنزه منفرد » ص ١٨٣ . والمناسب هو التوحيد .

٣ ـ ص ١٨٧ « ... التشابه بين بحيرة روسو في هلوبيزا الجديدة وبحيرة روسو في ديوانه التأملات » .

روسو الثانية مما يمكن ان يعزى الى السهو ، لان الصحيح هو : ... لامارتين .

٤ ـ يا حبذا لو ذكر المؤلفان في مقدمتهما اسم الكتاب الفرنسي الذي اعتمدا عليه اكثر من غيره لدى دراستهما الشاملة عن روسو .

٥ ـ ذكر المؤلفان ترجمات عربية لمؤلفات روسو او لمن كتب عنه ، ويود القارىء ان يعرف رايهما بما ترجمه لروسو عادل زعيتر ومحمد بدر الدين خليل . وقد يكون مناسبا ان نذكر ان احمد حسن الزيات شرع في ترجمة هيلوئيز الجديدة ونشر قسما من الترجمة ولكنه لم يتم مشروعه .

واصدر « كتاب الهلال » ترجمة « ابناؤنا وبناتنا » يوليه ١٩٦٣ ولكن دار الهلال لم تذكر اسم المترجم .

لقد ترجم خليل « الاعترافات » في سلسلة مطبوعات كتابي ، وترجم زعيتر ـ اصل التفاوت بين الناس ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ ، والعقد الاجتماعي ... في العام نفسه ، باسم « اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية » .

وترجمات اخرى ...

جامعة بغداد ـ كلية الآداب علي جواد الطاهر

سراب المحال

حافظ المنذر

المحيدثة ـ لبنان

منسـاي
يا حبا شقيا ناى
يحمل احلامي وزهو الجمال
فحل في صدري وجيب الاسى
وهد انفاسي هذا السؤال
متى تعودين
متـــى ؟
والصدى يجيب ترداد
كان المحال
ما ابتغي
والجوى في خاطري هم وقلبي وبال
يلم اشتاتا خيالي

عسى يعود لي منك بذاك الخيال
فلا الاقي غير ما في الرؤى
طيفا قصيا هاربا لا ينال
لا يستوي لي رغم جهدي
ولا يغيب عني
والليالي طوال
القى بها السهد الذي هدني
وزاغت العينان خلف النوال
وما نوالي يا منى
بعد ان اذرتك في الريح
عوادي الزوال ؟ ...

ليت تعودين ....
فيهمي الندى وينتشي الزهر
وتهفو الظلال
وتصدح الاطيار في المنحنى
تهتف عادت يا ربى يا جبال
ترقبي موطىء اقدامها
وعطري ترب دروب التلال
لطالما لج حنيني لها
للفتة منها وتلويح شال
وافرحة الاطيار
عني شدت
ومن جوى قلبي غناها استطال
وصفق الايك
وعدنا الى مطارح اللهو
وعذب الوصال

يا لجنوني
اين اين المنى
عانقت من وهمي سراب المحال ..

حول ديوان امطار الحزن والدم للشاعر راضي صدوق

بقلم خالد مصباح مظلوم

* * *

ارى ان الآداب الخالدة هي التي تبجل مشاعر الانسان نحو الحقائق الخالدة وعندما يبلغ الشعر حد الكمال ، يكون كلــه قــد اصبح علما نفسيا وعلما لغويا وعلما حضاريا .. كما ينبغي ابتكار كلمات اشمل واجمل تستقى حياتها من الملهمات الحضارية الجديدة لتواكب كل العلم والشعور نحوه .

يترك الشعر في ذوق كل منا نكهة وثمالة ، ونبقى غير مرتوين تماما ، لان في مكامن نفوسنا رغبات اعمق من النكهة والثمالة المحسوسة ، وتصورات للشعر اكثر تجسما وريا .. وتتوق فطرتنا الى شعر اكبر بكثير فتناجي الشعر المجهول وتحاول ان تختلقه ليكون انعكاسا لرغبات النفس الداخلية الفنية والحياتية ، فكما تنشد الارض الامطار والهواء لتشبعها ، تناجي نفسنا الشعر المثالي المجهول ، وحين نقيس ما نقرؤه من الشعر الموجود بهذا الشعر المثالي الذي نتصوره ونتشهاه نجد البون بعيدا بينهما ولا سيما حين نكون في اتم الوعي للحاجة للابتكار الاعلى .

وهنا حين اقرا ديوان الشاعر الاستاذ راضي صدوق واقيسه بما في نفسي من تصور للشعر المثالي ومن رغباتي الغامضة في نكهته وثمالته ، قد يقع الشاعر راضي ضحية ذوقي الكامن ، او ربما اكون انا ضحية افكاري الغامضة ونزوعي لجعل الشعر غطاء للكيان كتغطية السماء للارض ، وتجسيدا للخفايا كتجسيد الطعام لحاجات المعدة ؛ وساكون هنا في هذه الخواطر عــن شعره قاسيا جدا وصارما ، فصديقك ـــ كما يقول المثل ـــ هو من صدقك لا من صدقك ، واني من النوع الذي اهتم بانتاج اصدقائي واقرؤه ، وذلك ابتغاء ان انظر لمواطن الضعف والافتعال لأوجههم حسب رايي الخاص الى تقويتها وعدم التمادي والاسترسال فيها ؛ واستحث همتهم لان تسير في اتجاه الكمال لا النقص ... وان ضعف وقصور الاستاذ الشاعر راضي هو مثل ضعف وقصور معظم شعرائنا ، واضعفهم انا ، اما اذا سألتموني عمن يمثل برايي هو اقرب للادب المثالي فاقول جبران خليل جبران ، رحمه الله .

انني احاول ان اكون الآن كمدرس ، يضع الدرجات على ورقات الاختبار التي هي ديوان «امطار الحزن والدم» ، وبعد ان فرغت من قراءته وضعت له علامة تقريبية هي ٤٠٪ اربعين في المئة من قيمة الشعر المثالي الذي اتصوره.

ان اكثر ما يحرمه الدرجات الستين التقريبية هو التالي :

١ ـــ كثرة اعتماده على صور تقليدية باهتة مبتذلة متكررة في بعض ابيات قصائد الديوان مثل : (طلعنا من الليل نورا ونارا)

اذا انحسر الفجر عــن ارضنا ... وغيب في حالكــات الليالــي
فانــا سنقشع عنــه الظــلام ... ونسقيــه مــن شفرات النصال
ونشعلــه جـذوة مــن لظــى ... توهــج في غمــرات النضــال

فماذا اعطى عجز البيت الاول من معنى جديد للصدر وماذا اعطت باقي الابيات ؟ ناهيك عن ان المعنى نفسه قديم ومبتذل ولــم يتناوله تناولا نفسيا جديداً حتى نعده ذا ابتكار ... وغير ذلك ...

اما من اعتماده على الصور التقليدية المهضومة نوعا ما فهي مثل :

ايعربــد الذئبان في جنباتهـــا ؟ ... قد هان خطب لو يعربد ضيغم
والصبر عنــد الحادثات كرامة ... ولقد يساغ مـــع الكرامة علقم

فشطر البيت الاول تقليدي ومقبول ولكن جمله عجز البيت الاول والحمد لله . كما جمل شطر البيت الثاني عجز البيت الثاني التقليدي .

ولكن رغم شدة تدقيقي على شعر الاستاذ راضي ، ادقق على نفسي وعلى سواي فاقول من منا تخلو قصائده من عدم اجترارِه لمعاني سواه اشاء ام ابى ، ومن منا لم يقع في تجارب القدماء نفسها لكي يتحدث بمعانيهم ولو دون ان يقرا نتيجة لتشابه المواقف ؟ .

٢ ـــ لا تعتمد معظم قصائد ديوانه الا على موسيقى الكلمات والاوزان العروضية وليس للموسيقى النفسيـــة تاثير كبير عليها مما لا يجعله يتوغل اكثر من الاربعين درجة في اجواء الشعر المثالي .

٣ ـــ في الديوان بعض قصائد لا تنتمي للشعر الحي بشيء ، خلا من شطرات او من ابيات فيها بعض دم ، او فيها قطعة اصبع ، او اذن ... مثل قصيدة (طريق اللهب) ، وقصيدة (ارض القداسات) .

٤ ـــ سقوط راضي في بعض المعاني ، وسقوطه في بعض الصور ، واتيانه بصور تأكل بعضها بدل ان تتغذى من افكار اعمق .

فقد سقط راضي مثلا في معنى كلمة يظلموا في احد ابياته من قصيدة (دم الفداء) :

لكن اعداء الشعوب هــم الالى ... ظلموا فحق عليهمو ان يظلموا

فلو استبدل الشاعر راضي كلمة ان يظلموا بـــان

يهزموا مثلا لكان المعنى عادلا يتناسب مع المنطق الشرعي .

اما سقوطه في بعض الصور فيتجلى ذلك في مثل :

ماض على درب الجراح اننا   رغم احتراق الحرب باللهب

فلا وجود رابطة بين الشطرين جملت البيت ولا عدم وجودها جمله .

اما اتيانه بصور تاكل بعضها بعضا بدل ان تتغذى من افكار اضافية جديدة اعمق فتبدو خلال هذه الابيات الجزلة التي فيها روعة الشعر القديم وتلاحم قوافيه مع جنسم البيت مثل :

ظمآن تضرب في بيداء ظامئة   وماء عينك منهل ومطرد
ترتاد صهوة احلام ملونة   والليل حولك مقرور ومرتعد

فالشاعر يتحدث عن ماء عينه المنهل بينما هو في صحراء ظامئة فالصورة تشمئز من ان تنهل من الصورة الثانية في عجز البيت الاول .

ولا ينسجم الايحاء في شطري البيت الثاني ، فالصور في كلا البيتين رغم جمال البيتين لا تغذيان ولا تنميان بعضهما بعضا فبدلا من ان يتقوى الايحاء فيهما يضعف مثل خلط الملح بالسكر .

كذلك اعرض بيتا من قصيدة اخرى :

فلا العيش مامون .. ولا الحق آمن   كان ضمير الكون يسكنه الذعر

فلم يتغذ البيت جديدا من كلمة الذعر ، وكان اولى بالشاعر ان يضع عوضا عنها مثلا كلمة الغدر .

امـــا الدرجات الاربعون التقريبية التي يحوز عليها الشاعر وفق ذوقي فتتوزع على نقاط كثيرة منها التالي :

تمكن الشاعر من اللغة العربية تمكنا يكاد يكون في القمة ، وكذلك من الشعر العمودي ، فاراه في كثير من المواضع يشبع الاوزان العروضية فكرا وانفعالا فـارى اوداج الابيات وعروقها النافرة واضحة في بعض القصائد الحية لديه مثل قصيدة (دم الفداء) فهو يقول فيها :

وجم القصيد فما عسى اتكلم   ودم الفداء هـو القصيد الاعظم
سقـط الكلام ممرغـا بهوانـه   يكسوه عـار للهزيمـة اقتم
ان النجيع علـى الثرى متفرجا   اقوى من اللسن الفصيح واحكم

فان القصيدة تستهوي نفس قارئها وسامعها منذ الكلمتين الاوليين فيها (وجم القصيد) فان وجوم القصيد يعادل الشمس المكسوفة ، يعادل الامل المذبوح ، يعادل الحبيب الباكي ، يعادل السعادة المنكوبة .

فان الفاظ الشاعر الاستاذ راضي صدوق الجزلة تحمل افكاره بحنو حملا لطيفا جميلا كما تحمل الطيور فراخها ، فكلمات راضي المتناسقة بحيوية هي الام ، وموضوع القضية الفلسطينية هو الفراخ ، فانها تعد بحق احدى قصائد الفلسطينيين الاصيلة التي تحمل بجدارة مسؤولية قضيتهم العربية المقدسة ، ويدعو الشاعر راضي دعوة رائعة همسها كالهمس كالرؤى لاقام العدالة فهو يقول :

ورصاصة في صدر عـاد مجرم   لأرق من همس القصيد وارحم

ويبشر الشاعر راضي بان التاريخ سيدور عليهم بقوله :

يـا للدهاقين البغاة لـو انهم   قراوا من التاريخ مـا لا يكتم
لدروا بان الدهر اصدر حكمه   ان الزمان غـدا يدور عليهمو

وتتجلى روح الايمان والعقيدة لدى المسلم بهذا البيت :

ما نام ليث عن حماه ، ولم يهن   شعب لـه القرآن روح ملهم

ويلتجيء راضي الى التشبث بناموس الصبر ابتغاء بلوغ النصر حيث يقول :

ولقد تنـام علـى الشكاة ابية   ولقد يسلم الضيم من لا يهضم
والصبر عنـد الحادثات كرامة   ولقد يساغ مـع الكرامة علقم

وفي قصيدة (هزيمة النصر) بيتان فيهما الم العربي الفلسطيني واحتداده في سبيل انتظاره تحقيق امنيته :

يا قدس صمتك قاتل   كم تصبرين على الرزايا
لـو تنطقين لعلهم   قد يخجلون من الخطايا .

وهو في العجز الاخير من البيت الثاني يتفاعل تفاؤلا طوبائيا بل لا معقولا .

ونرى روح الشاعر المتوسلة الـى الله في قصيدته (غريب) من اجل نصرة قضيته حيث يقول :

طريقي الى الله لا تنحني   وهامي لغير العلى ما انحنى
حنانيك يا موئل الصابرين   على جمرة الجرح رفقا بنا
صمدنا كباسقة في الرياح   وما طامن الدهر من باسنا
وها نحن نركض خلف السراب   نمني النفوس ببعض الجنا
نسائل عن واحة من ظلال   لننشد في حضنهـا مسكنا
ظمئنا الى الامن يـا ويلنا   واي غريـب راى مامنـا
حنانيك يا رب هل من غد   يميـط الكآبة عـن يومنا
ويمطر في جرحنـا بلسما   فقد ضجر الكون من جرحنا

وتتغلغل قوة حب الشاعر الاستاذ راضي صدوق الى وطنه فلسطين وحنينه اليه ولواعجه في قصائد اخرى منها (فلسطين ويهوذا الثاني) وقصيدة (الى طولكرم) التي هي مسقط رأس الشاعر الرؤوم :

اسائل في متيه الارض : اين غدوت يا وطني
وتصفعني الليالـي السود حتـى الليـل انكرنـي
اليـك يـا وطني فهـل مـا زلـت تذكرني

* * *

اطلي على الكون لا تفرقي   تباركت مـن بلـد طيب

تبارك فيك ضمير الحياة　　وافرخ في روحك المخصب
ترامت حواليك دنيا رؤى　　ترف على افقك الارحب
صمت على زعزع النائبات　　صمود كريم شجاع ابي

ومن انجح قصائده في الديوان (امانك يا دنيا) فمن يقرؤها يتلذذ من نبوغها فهي مليئة بالجمال الشاعري والاسلوبي وتراها مليئة بالقيم النفسية ، ويخيل الي انه متاثر في هذه القصيدة بقصيدة ابي العلاء المعري ، يقول الشاعر في مطلعها :

حنانك لن تبكي عليك العوائل　　ايبكي على قبر الضحية قاتل ؟

الى ان يصل في القصيدة الى قمة الانفعال الانساني في البيتين الاخيرين :

فيا زمن الويلات كف عن الاذى　　فما انا بالجاني ولا انت عادل
ابيعك تاريخي وشعري وموقفي　　بلقمة اطفالي فهل انت قابل

فهنا تبكي الانسانية امام هذا الموقف الدرامي الاصيل الحقيقي ، ولا يمكن ان نعده موقفا سلبيا تخاذليا من الشاعر بل انه قمة الايجابية المخاطبة لقلوب الكرام لا اللئام ، فمن في هذا الموقف لا يلبيه ؟ انه موقف مشابه لموقف من يقول لشخص اذا شئت ان اقول لك ان الشمس سوداء مقابل ان تتركني اعيش فاني اقول لك .

فهو اذا كان كريما وفهيما لا يصدقه ، ولكن يطلقه ، وواضح فيها ان نبض الحياة ولقمة العيش هي جوهر الحرية ، وهي منطلقها السليم ، فهذه القمة الرائعة جديرة بالاحترام لا الازدراء ، ففيها يتجسم محور الكون في الصراع ما بين الشاعر وعراقيل الحياة .

وتتجلى حكمة الشاعر في بعض قصائده ولا سيما في قصيدة (يا سادن الحب) حيث يقول :

والناس كالدهر الغاز مطلسمة　　ما اندر الخير مهما يكثر العدد
ترى الصديق صديقا ما بذلت له　　من ذات نفسك حتى ينضب المدد
مثل الفراشات حول الضوء حائمة　　ما دامت النار في المصباح تتقد

فعلى الرغم من ان المعنى قديم لكنه استقاه من تجاربه الجديدة .

فالعلم النفساني احد مزايا الاستاذ راضي في كتاباته

حيث ينبت مرة كزهرة حكمة ، وطورا كوردة حب ، وآنا كوردة سمو ، او زهور حزن ، او زهور شوق وقلق نفسي . . مثل :

ولقد رفعتك من حضيضك كالنسور الى سمائي
فابيت ان تدع التراب وان تعيش مع الصفاء
من كان قد ألف الظلام يخاف من الق الضياء

غنيت عمرك لم تحفل بنازلة　　فكم رقصت على الاشواك محترقا
كم عالم زفته لم تدر عتمته　　بان لليل من احداقنا فلقا
نحن اللذين على الآفاق تنثرنا　　هوج الرياح سحابا باذلا غدقا
من انت غير غريب ضاع موطنه　　وديس في زحمة الاقدام وانسحقا
الارض تنكر في عينيك لونهما　　ان الغريب سراب حيثما انطلقا
انت الذي نسج الاحلام ملحمة　　وما اشتكى الما في الدرب او رهقا
ارفع جبينك فالاعصار حشرجة　　لن تستذل لنا روحا ولا عنقا

قولي احبك يعتنق نجمان في حلك الظلام
او لا تبوحي ربما يذوي من البوح الغرام
وحذار من غدر الزمان اخاف خذلان الزمان
ما ضرنا ان نعبر الدنيا كانا توامان

وشاعرية الاستاذ راضي المركزة في قصيدة (حنانيك) تنهر جراحنا ووجداننا فنشاركه المشاعر اسمى مشاركة وندعو الله ان يهديه لشفاء جراحه ولو انه لا يريد شفاءها لانها مواقد احلامه :

تطاول دربي واستطال رحيلي　　وما زلت في الدنيا بغير دليل
كاني من المأساة بعض وجودها　　وليس لروحي من اخ ومثيل
تساميت حتى خلت قلبي واحة　　تبيح عطاياها لكل دخيل
حنانيك لا تطفىء جراحي فانها　　مواقد احلامي وضوء فتيلي

فالاستاذ راضي يحب العذاب ويصرح بذلك في مواضع كثيرة من شعره مثل :

خلني للعذاب ان عذابي　　قدري جبلي ونبض لحوني
من اي وحي تستقي وتترجم　　جف الربيع ولم يعد لك موسم
والقلب من جرح ينز الى اسى　　طاو على الاشجان لا يتالم

ففي اعتقادي ان اكبر مصدر لتعاسته واصطباغ شعره ببعض الصور السوداء وبالآمال الشبيهة باليأس هو النكبة الفلسطينية نفسها ، فهو رمز حي للتعبير عن هذه النكبة . . .

وختاما دعونا نسمعه يعري الحقائق من الزيف ويدل امته الى كيف العمل للوصول الى الامل ، واللجوء الى الصدق لا الدجل فهو يقول :

فاذا القدس جراح ودم　　مستباح المجد في الذلة عان
واذا الاردن يبكي خجلا　　دامي النبع ، فتحنو الضفتان
وبقايا الاهل في اغوارنا　　مزق في الريح في كل مكان
ايها الشاعر قد طال السرى　　والمدى ما زال حلما واماني
منذ عشرين وفي آفاقنا　　سحب الزيف وانخاب الرهان
والنداءات على كل فم　　تتلظى في رواق المهرجان
كاذب كل فم مستنسر　　صارخ الفتنة مجنون اللسان

الرياض ـــ السعودية　　　　خالد مصباح مظلوم

لاجلك .. اسهر ..

اسماعيل عابود

حبيبي — لاجلك اسهر حتى الصباح
وحتى انطفاء القناديل ..
حتى سكوت الكلام المباح
لاجلك ، أبقى ، أرنم شعري
وتحمل همي اليك .. الرياح

حبيبي ...
وحين — عذابي — اكون لوحدي
ورأسي طوق بين يدي
أقر أنك أنت الاثير لوجدي
فتحنو علي
وتبكي لدي

حبيبي ...
وحين يهل علي المساء
وتبدو المدينة قطعة قرص مضاء
ويفرق دربي اليك بدمع التمني
وتجري رياحي ، ليورق غصني
كفرحة قلبي المغني

— لاني ...
سأترك روحي رهينة شوقي اليك
واهدي عطور ربيعي الى وجنتيك
واشكل شمر الجمال على ناهديك

— ولكن .. ؟
اذا لم تنتظرني ، حبيبي
سيملأ دمعي سياج الطريق
ويشمت .. يغضب حتى صديقي

عليك ..
يثرثر عني وعنك حكايا
تحرض ضدي شكوك الصبايا
بانك صرت بخيلا علي

*

حبيبي ...
وحين تفيق النجوم — وانت تنام
ويسبح ظل المدينة تحت شعاع القمر
ونعطش في النهر حتى جذور الشجر
ويهدأ حتى الظلام
اكون — حبيبي — لوحدي على النافذه
وكلي انتظار .. اطل
وبي خفقات حب — تهل
و « دريسدن » أنثى بحضن الغمام
تبيح اشتياقي وتفضح سري على مسمعك
وانت كما انت — في مضجعك ..
فأرسل طيفي ليبقى معك
حبيبي ...

*

دريسدن — المانيا

شعراء العربية واولادهم

بقلم رياض المعلوف

* * *

ليوجد في الدنيا كلها امتع من الولد هذا الكائن اللطيف الحبيب المسلوخ من القلب والذي هو نسخة عن والديه ! وللشعراء الاقدمين والمعاصرين شعر بفلذات اكبادهم من ارق الشعر واطيبه واجوده ! ولله در القائل :

وانمــا اولادنــا بيننــا   اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عيني عن الغمض

ومن طريف قول ابن عبد ربه في رثاء ابنه :

واكبــدا تقطعــت كبــدي   قــد حرقتها لواعج الكمد
مــا مات حي لميت اسفا   اعذر مــن والد على ولد
يــا رحمة الله جاوري جدثا   دفنت فيه حشاشتي بيدي
ونوري ظلمة القبور علــى   من لم يصل ظلمه الى احد
يــا موته لو اقلت عثرته   يــا يومه لــو تركته لغد

وتبارى شعراؤنا المعاصرون في وصف حنانهم وخوالجهم نحو اولادهم ومما قاله الاخطل الصغير في ابنته وداد وهي في العشرين ربيعا من حياتها وما ابدع ما قال :

يــا قطعة من كبدي   غــداك يومي وغدي
وداد يــا انشودتــي البكــر ويــا شعري الندي

ومن لطيف قول الشاعر شفيق المعلوف بولده :

لا ترج شعري ان شعر ابيــك ليس بمسعــدك
ان لــم تخلــد انــت نفسك مــا انــا بمخلــدك
مــن مخبــري فلربما   نلت الخلود على يدك

ولأمير الشعراء احمد شوقي في اولاده الثلاثة : امينــة وحسين وعلي :

احــب صغار العالمين لاجلهــم   ويعطــف قلبــي لتواب ويتيــم
(اميمتي) الدنيا اذا هي اقبلت   علــى العيش منها نضرة ونعيم
وقبل (علي) مــا تكلم مرضع   ولا نــال عليــاء البيان فهيــم
وامــا (علي) فالمسيح حداثة   وقور اذا طاش الشباب حليم
وان راح يهذي في الحديث فشاعر   وان جــد فيمــا قالــه فحكيم

ولكاتب هذا المقال قوله في ابنتيه ــ نجوى وحياة ــ :

اعز علي من المقلتين   حياة بعين ونجوى بعين
فحبي الدقيق تقاسم قلبي   فاصبح قلبي ما بين بين
ولا فرق بين الصبي وبين الفتاة علــى مهجة الوالدين
لان الصغار نعيم الحياة فحمدا لربــي علــى نعمتين
فاصبحت مثل فراش الرياض يرف جناحي على وردتين

وعندما ولد ــ عيسى ــ وحيد رياض المعلوف وهو وحيد على اربع اخوات خاطبه قائلا :

ولدي وما احلاه من ولد هذا ولي العهد بــل سندي
ماذا شاورته سوى ادبي والشعر غير الشعر لم اجد
يا ليت لي الدنيا لاعطيه الدنيا لكي يحيا علــى رغد
سميته عيسى على اسم ابي ايكون هذا الشبل كالاسد
ايكون مثل ابــي بطلعته وبحولــه والعلــم والجلــد
هذي اجل امنيتي كمنت في ان اراه سيــد البلــد
قبلته وحملته بيــدي   فكانما حملت يدي كبدي

ومن جميل ما نظم الشاعر المهجري عقل الجر في ولد على لســان امه مع انه لم يتزوج :

اعطيتــه كالصبح عزتــه   ملكــا تقمص صورة الولد
ازهــو بطلعتــه واحسبه   الكون جمــع كلــه بيدي
وابيحــه ثديــا يخمشــه   فيطيب في تخميشه قودي
يحتل عرشــا مــن دعائمه   روحي وبسطة ملكه جسدي
يهتاجني مــن فيه زقزقة   تزري بصوت البلبل الفرد

الى ان يقول :

فازقــه قبلــي وارهقــه   واكاد ارجعه الــى كبدي
فكانتــي وانــا ادغدغــه   طفــل وطفلي دمية بيدي

ولشاعر الارز شبلي ملاط في اولاده ابيات طيبات :

لقد بكــر الثلاثة يوم عيد   وقلبوا كالملائك حــول مهدي
بسطت اليهم زندي فالقوا   بانفسهم على صدري وزندي
وقبلني الكبير فهاج (شوقي)   وعانقني اخوه فهاج (وجدي)
ونكرني صغيرهما (غرامي)   وما قاسيت مــن مي وهند
ليالي كان يشفع بي شبابي   ويعذرني عليه عذار خدي
ولولا النازلون على مشيبي   وهم قوم اعز الناس عندي
لعشت ولا ارى للعيش معنى   وقد ذهب الشباب فبت وحدي

ومن لا يرتعش قلبه لوعة عندما يقرأ رثاء الياس فرحات لابنته سعاد . . . :

يهنيك نومك يــا سعاد فانه   نوم الرضيع على ذراع المرضع
يهنيك يا ولدي السكون محركا   بجلال هيبته سواكن ادمعي
كــم قبلة تهفو الى شفتي من قلبي الحزين الوالد المتفجع
حتى اذا وجدت سريرك خاليا رجعت فصارت جمرة في اضلعي

وللشاعر المهاجر زكي قنصل الذي خسر ابنته البكر ــ سعاد ــ وذلك مما يمزق القلب اسى :

بالغاليــين حشاشتــي وجنانــي   افديــك يــا ارجوحة الكروان
غالت بشاشتك الرزية وانطوت   دنيــا ازدهت بالروح والريحان
سقيا لليالي الانس والامل الذي   اشربته مــا سال مــن اجفاني
مــا كان اقصرها على سمارها   واخــف وطاتها علــى الندمان
مــا للزهور اذا راتني اطرقت   حــيرى بــاي تحيــة تلقانــي
ما للطيور اذا استشفت لوعتي   غصــت حناجرهــن بالالحــان
ارجوحة الكروان هدمني الاسى   الا بقيــة مدمــع هتــان
يجري على قبر الحبيب ولم يكن   لــولاه بالجــاري ولا الحــران
واتــى ليجــرح مقلتي ويمضني   مــرآك بــين مخالب الاشجان
شوهاء خافتــة الصدى كقصيدة   جوفــاء عاطلــة مــن الاوزان
ان الذي اعطى استرد عطاءه   يــا ليته استناى وما اعطاني
امن العدالة ان تصوح روضتي   في عنفــوان ربيعهــا الفتــان
وتحيل عرسي ماتمــا لا ينتهي   وتعــد في عيــد المنــى اكفاني
كرواني المعبود ضمتــه الثرى   يا موت لا ترحم ابا الكروان

عابر سبيل

غربت شمسه فراح وحيدا   يعبر الدرب جيئة وذهابا
كلما خيسم الظلام عليه   هام لا ينثني وحبث الركابا
سالكا سبسبا هناك قصيا   نازلا وهدة هنا وشعابا
حاملا نايه الشجي نديما   وسطورا من الهوى وكتابا
يتمنى من الغصون ظلالا   ومن النفح رشفة وحبابا
ومن السفح نسمة وعبيرا   ومن النبع انة وانسيابا
فامانيه ومضة ليس يدري   احقيقا ما قد يرى ام سرابا
وتضيق الدروب في عتمة الليل عليه فيقرع الابوابا
يسال الله رحمة وسلاما   وحنانا ورافة ومثابا
ويناجي السماء يشكو لها الضيم افاعي عضاضة وذئابا
الف الدوح يبعث الحب شعرا   نغما صافيا وسحرا مذابا
وابتهالا مضمخا واشتياقا   وهفيفا من الضيا وشهابا
انه عابر السبيل فخلي اللوم لا ترهقي ضناه عتابا
وعديه فكل وعد يسير بالاماني يقرب الاحبابا

سلمية ــ سورية   عارف تامر

وكانت احدى شاعرات العرب واسمها اميمة تناجي ولدها وترقصه على يدها قائلة :

يا حبذا ريح الولد ...... ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد   ام لم يلد مثلي احد

ومن مؤثر ما رثت به ولدها القتيل شاعرة اعرابية من بني عبدود :

يا فرحة القلب والاحشاء والكبد   يا ليت امك لم تحبل ولم تلد
لما رايتك قد ادرجت في كفن   مطيب للمنايا آخر الابد
ايقنت بعدك اني غير باقية   وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

وللشاعر المعروف امين نخله في ولده ــ سعيد ــ وهو في السادسة من عمره قصيدة بعنوان ــ العصفور ــ وهاك بعض ما جاء فيها :

يا حبيب الغصن صفق بالجناح   والزل الوادي وبشر بالصباح
صيحة منك على الضفة او   زبكة خلف البساتين الفساح
ان صبحا انت لم تهتف به   هو كذاب التباشير وقاح
وترى الوادي فراغا موحشا   يوم لا يملاه منك الصياح
يا رقيق الريش والصوت ويا   اخضر الدار ويا حلو المراح
اسال الله لك اليمن على   منكب الجو وفي عصف الرياح
انه عصفور قلبي ناحل   ناعم لو صده الورد لزاح
صوته في البيت انس مالح   واسمه اهنا من سلسال راح
صرت من اجل (سعيد) مشفقا   ان تهب الريح في وجه الاقاح

ومن ابلغ ما قيل في ــ المشيب الجميل ــ هذه القصيدة للشاعر المدني قيصر سليم الخوري وفيها حنان وعطف ولهفة الابوة الحقة واستكانة الشاعر الى اولاده بعد عودته من السفر في سبيل تحصيل العيش لهم :

وثلاثة لما ضممتهم الى   صدري شفيت من الفؤاد غليلا
يتسارعون الي حين اعود من   سفر قصي قد راوه طويلا
فتخالنا عند التعانق دوحة   صغرى تريك نضارة وذبولا
ما بال قلبي كلما اعطيتهم   اضعاف ما طلبوا اظل بخيلا
قبلاتهم عند السؤال عطية   منهم تعيد السائل المسؤولا
يا طالما ادنيت خلاي مغمضا   عيني افتح للسؤال سبيلا
قد فرجوا عني الهموم وزحزحوا   عن منكبي صخرا اصم ثقيلا

فما اجمل عودة الاب بعد جهاد النهار وتعبه الى منزله حيث يعانق انجاله الاحباء المنتظرين مقدمه بفروغ صبر ولهم كما تعلمون مطاليبهم اليومية والتي لولاها لما سعى احد من الناس وما عمل ولا اشتغل ... وبهذا حافز للاب لينشط ويجاهد في سبيل العيش الكريم وبذلك لذة ما بعدها لذة ! . ومتعة ما بعدها متعة ! . ومهما اعطيتهم مما طلبوا تجد نفسك بخيلا .. مهما كنت كريما معهم ولو اعطيتهم روحك وقلبك ! ..

وصدق الشاعر بقوله :

ما بال قلبي كلما اعطيتهم   اضعاف ما طلبوا اظل بخيلا
لولاهم ما كان ضعفي قوة   والعسر يسرا والمشيب جميلا

زحلة ــ لبنان   رياض المعلوف

الذكريات الخاصة واللون المحلي في قصص من دمشق لمقبولة الشلق

بقلم عيسى فتوح

* * *

صدر عن المطبعة العمومية بدمشق كتاب «قصص من بلدي» للاديبة السيدة مقبولة الشلق ، يضم عشر قصص اهدتها الى زوجها الدكتور مصباح المالح ، وقدم لها الاستاذ الاديب سعد صائب ، وصممت الغلاف الفنانة اسماء الفيومي .

والكتاب هو باكورة انتاج الكاتبة ، بالرغم من انها تمارس كتابة القصة القصيرة منذ عهد طويل ، وتقرؤها في المنتديات الادبية الخاصة والرسمية ، لكنها لم تقدم على نشر هذه القصص مجموعة الا بعد ان وثقت من صلاحيتها للنشر ، واطمانت الى ان القارىء العربي سيستقبلها استقبالا حسنا ، ويقبل على قراءتها واقتنائها برغبة وشوق ، لانها ترسم فيها بشكل دقيق وامين البيئة المحلية التي عاشتها وتفاعلت معها في دمشق ، منذ ان كانت طفلة ، فطالبة على مقاعد الدراسة ، والى ان اصبحت موظفة تحتك بنماذج ونوعيات مختلفة من الناس ، فتصور نفوسهم الخبيثة او المعقدة تصويرا حيا نابضا ، ببساطة متناهية ، واسلوب سهل رشيق ، وعبارة لا تكلف فيها ولا حذلقة او تصنع .

تتحدث الكاتبة في قصتها الاولى « كفاح » عن المتاعب والهموم التي يلاقيها الموظف المثقف النشيط المخلص ، اذا ارغم على العمل مع موظف آخر جاهل ، وهو اعلى مرتبة ... فكفاح — بطلة القصة الاولى — فتاة كبرى اخواتها . عملت مع امها في الخياطة ، لتعيل اسرتها المستورة الحال ، لان اباها قتلته صخرة كبيرة وهو نائم في غرفته التي بناها فوق المطبخ ، في بطن جبل قاسيون .

درست كفاح حتى تخرجت في الجامعة ، ثم نجحت في مسابقة الموظفين ، وعينت في احد الدواوين ، فرحب بها رئيس الديوان في اليوم الاول اجمل ترحيب ، لكنه اخذ يغار من الشهادة الجامعية التي تحملها ، ويقول لها : « لا فائدة للشهادة في هذا المكان ... عينت في هذه الوزارة قبل ثلاثين عاما ، لكنني اعلم من امور هذا الديوان ما لا يستطيع ان يعلمه حامل الدكتوراه » .

انه نموذج لفئة كبيرة من الموظفين الذين يتعلقون بالروتين . ويعارضون كل عقلية متطورة متفتحة على الحياة والانظمة الجديدة التي يمكن ان تسير المعاملات وتنجزها بسرعة ، لذلك اصطدمت به ، وراحت تصفه لنا وصفا دقيقا من الخارج والداخل فهو « اشيب ، نحيل ، قصير القامة ، عيناه غائرتان ، ووجهه شاحب كالمومياء ، ينحني امام رئيسه كما ينحني قائد فرقة موسيقية تحية للمصفقين ، علمته امه منذ تقلبه في احشائها ، كيف يكون موظفا ، يستقبل كل مدير جديد بالمدح والاطراء ... » .
هذه الدقة في الوصف والتحليل من اولى ميزات القاص الناجح ، والعمل القصي الجيد ، لان الكلمات المختارة بعناية تستطيع ان تقوم احيانا مقام الاصباغ والالوان والريش ، او تحل محلها .

ويستمر الصراع بين كفاح — الموظفة الجامعية الجديدة — ورئيس الديوان ذي العقلية الجامدة المتحجرة المتخلفة ، فيمنعها من أن تسير اية معاملة ، حتى اصبحت تخجل من نفسها ، فهي تتقاضى راتبا دون ان تعمل شيئا ، وتجلس خلف مكتب انيق ، عليه جميع ما يحتاجه الموظف من « محبرة بلونين واقلام تنام هادئة على درجات سلم معدني اسود ، ووراقة فيها الكثير من الاوراق البيض ، المطبوع عليها اسم الدائرة ، ونشافة ... » ، وكل هذه الادوات تهزأ بها لانها لا تستعملها .

وكثيرا ما كانت كفاح تلجا الى مناجاة نفسها ، وهي تحلم خلف مكتبها فتقول : « ما هذه الاقامة الجبرية ؟ الانني نلت شهادة جامعية ؟ لشد ما العنها كما يلعنها في هذه الايام التاجر الذي علم ابنه فحملها وصار موظفا ... ليتني وظفت وانا احمل الشهادة الثانوية ... » .

كم من موظف لا عمل له في دوائر الدولة ، ويقيم مثل هذه الاقامة ، والفرق بينه وبين كفاح انها تريد ان تعمل باخلاص واندفاع ، وهو لا يعمل ، ولا يريد ان يعمل ، بل يتقاضى مرتبه آخر كل شهر ، وهو لا يشعر بتأنيب الضمير ، كما شعرت كفاح . وعندما ياتي موظف آخر الى الديوان يكون مصيره نفس مصيرها ، فيضطر للخروج الى غرفة المستخدمين الصغيرة الضيقة ، والجلوس معهم ليقتل الوقت الذي كان يمضي عليه ثقيلا بطيئا مملا ، ويشاركهم في الحديث وشرب الشاي ! وكان رئيس الديوان يتباهى امام زملائه الموظفين القدامى بان لديه موظفين يحملان شهادة جامعية ولا يحبان العمل ، وليس لديهما اي استعداد لتفهم الروتين ! ... وهكذا تسخر الكاتبة من امثال هؤلاء الموظفين ذوي العقليات الرجعية الذين تغص بهم دوائرنا ، ويتمسكون بالروتين تمسكا اعمى ! .

ثم يشتد الصراع ويحتدم التمزق اكثر فاكثر عندما يمعن رئيس الديوان في اذلال كفاح ، اذ يكلفها ازالة الغبار عن الاضابير التي طال عليها العهد ، لكنها تجيبه بجراة قائلة : « اقوم بهذا العمل اذا قمت به انت ايضا ... » .
وتبقى كفاح على هذه الحال من القلق والتوتر النفسي حتى

تصاب بالمرض ، وترتمي في الفراش . فينصحها الطبيب بالراحة في البيت مدة اسبوع . ولما لم تجد مهربا من شبح رئيس الديوان ، الذي اخذ يلاحقها ليل نهار ، توسطت لدى احد المسؤولين ، فنقلها الى دائرة اخرى وانتهى الامر ...

هذا هو الجانب الاول من حياة الكاتبة في الوظيفة ، جاء على لسان بطلتها كفاح ، مع شيء من التحوير ... لكن اين هو اللون المحلي في قصصها ؟ واين الحياة الشامية التي قلت انها رسمتها في قصصها بشكل امين ودقيق ؟ كما وصفها الدكتور كاظم الداغستاني في « عايشها كلها » و « البيت الشامي الكبير » ، والاديبة السيدة الفة الادلبي في « قصص شامية » و « وداعا يا دمشق » و « المنوليا في دمشق » ، والسيدة سهام ترجمان في « يا مال الشام » ، والاديبة السيدة سلمى الحفار الكزبري في كتابيها « زوايا » و « حرمان » ومعظم ما كتبت من قصص ...

يبدو الطابع المحلي في اغلب قصص السيدة مقبولة الشلق مثل « الاب الحنون » و « دار الزمن دورته » و « لماذا جف النهر » و « لي بيت » ... واذا كنت هنا لا استطيع تحليلها كلها ، فحسبي الوقوف عند اهمها واكثرها تصويرا لهذه البيئة الدمشقية العريقة ، كقصة الاب الحنون ، وتعني به جبل قاسيون ، الذي تعقد بينه وبين ابنته دمشق حوارا ممتعا لا اجمل ولا اوقع في النفس .

يقول قاسيون : « ربما تسالونني من اكون ؟ انا قاسيون الجبل ، وابنتي دمشق الفيحاء ، تحبني واحبها ، وحبنا قديم قدم الدهر ... » . وهكذا تحول الجبل في قصتها الى انسان حي ، يحس ، ينمو ، يتحرك ، يتألم ، يفرح ، يتفاعل مع الحياة والاحداث ، حتى ليذكرني بالجبل الارعن الطماح الذؤابة الباذخ ، الذي وصفه الشاعر الاندلسي ابن خفاجة من قبل .

واذا كانت الكاتبة لم تدرك حياة اهل دمشق الشعبية كلها ، ولم تمارس جميع عاداتهم التي اوشكت أن تمحوها عوامل الحضارة والمدنية الحديثة ، فانها ادركت اواخرها على الاقل ، وعاشت جزءا منها مع اسرتها التي كانت حتماً تتحلى بالطباع والصفات الدمشقية ، وتمارس العادات والتقاليد الشامية الاصيلة . فلنسمعها تصف لنا «السيران» الشامي على لسان قاسيون قائلة : « كان ابناؤها — اي دمشق — يصعدون زرافات على صدري ، يجلسون حلقات فوق عشبي الاخضر ، يقضون النهار تحت اشعة شمس الربيع ، وعصافير الدوري تزقزق وتحلق فوقهم ، وقطعان الماعز وجديانها تثغو وتسرح حولهم ، يقطف الاطفال البابونج والاقحوان وشقائق النعمان ، وتجمع النساء اوراق الخبيزة الفضة ، ويجلس الرجال وحدهم ، امامهم النراجيل تتعالى قرقرتها في الفضاء ، وينصرف بعضهم الى السماور لتهيئة الشاي ... » .

« وفي ليالي الصيف ، عندما يرسل القمر اشعته الى اعماق القلوب . يجلس جماعات الرجال فوق اضلاعي اليمنى ، وتشرف عليهم قبة « السيار » ، يرسلون الاغاني والآهات والمواويل ، ومن بعيد تجلس الصبايا ويستمعن اليهم ... » .

والحديث عن قاسيون لا بد ان يقودها بالتالي الى الحديث عن صفحة ناصعة مشرقة من صفحات البطولة ، ايام الاستعمار الفرنسي لسورية ، حيث كان الثوار يلجأون الى مغاور الجبل وكهوفه ليتحصنوا فيها ، وعن الطنابر التي تنقل الحجارة منه لبيعها ورد غائلة العوز ...

وعن بردى وحفلات الانس التي كانت تقام على ضفتيه ، وسباقات الخيل ، ونداءات الباعة على الصبارة « طيبة ناهيه هالصباره » والحبلاس « بيشرب من يزيد هالحبلاس » و « حب الماس هالحبلاس » وعن البيوت الطينية وسطوح التراب والقرميد ، ونقل الماء بـ « الراوي » الذي كان يحمل الى البيوت على ظهور البغال ، وحافلة الترام بقسميها للرجال والحريم ، ومن زمارة الكمساري ، وعربات الخيل والحوذي ...

كما تصف لنا الدار الشامية (العربية) وبناءها الصحي ، والفرق بينها وبين البيوت الاسمنتية الحديثة ذات الاقبية المظلمة ، والطبقات العالية التي يلاصق بعضها بعضا ، فتحجب الشمس والقمر والهواء ... وتصب جام نقمتها على تلك الاقبية التي يتناسل فيها الناس ، ولا يتوافر فيها اي شرط من الشروط الصحية ... الى ان تتساءل دمشق نفسها : « اين بيوتي وحدائقها ؟ واين حواكيري وثمارها ؟ واين نهري وماؤه ؟ انظروا الى الابنية كيف بنيت ، والى طبقاتها كيف رفعت ... » .

وتسترسل في الوصف حتى تنسى انها تكتب قصة قصيرة ، يجب ان تتوافر فيها شروط فنية معينة ، وتتحول قصتها الى قطعة نثرية جميلة ، تسحر بنكهتها الحارة ، وتبهر بالوانها البلدية الصارخة ، ولذلك نستطيع ان نقول ان قصص المجموعة توشك ان تكون في بعض مقاطعها لوحات فنية رائعة ، وصورا فولكلورية جذابة ، يفرح بها اولئك الذين تستهويهم دمشق الماضي والتاريخ ، بعاداتها وتقاليدها التي يريدون ان تبقى خالدة على مر الزمن ، تعاند تيار الحضارة الزاحف عليها بشراسة قوية .

ثم تحدثنا الكاتبة في قصة « ودار الزمن دورته » عن ابي محمود صاحب العربة الخشبية التي يظللها قماش ابيض ، ويجرها حمار تتدلى من عنقه اجراس صغيرة ، وعقود من الخرز المختلف الالوان ، وكانت تزدحم دائما بالاولاد الجالسين على مقعديها الجانبيين ، وبالواقفين الذين يفوق عددهم القاعدين ، يدفع كل واحد منهم خمسة قروش ليركب العربة ، وكيف كانت تقطع المسافة من جانب قبر الشيخ محيي الدين بن عربي الى آخر السوق في حي الشركسية ، وابو محمود يصيح بأعلى صوته « يا ولاد محارب » فيرد الجميع مصفقين « يو يو » .

لبنان الثاكل

لبنان يا عرب نار فوقها حطب — لبنان بحر دم غاصت به الركب
لبنان يستنجد الدنيـا لتنجـده — فيم اصطباركم يـا ايها العرب
لبنان والمحتد الوضاح يجمعنـا — به وتربطنا الاوشاج والحسب
لبنان وأعجبي هل من يذكركم — به أتنسى الجبال الشم والشهب
لبنان ثاكـل اكبـاد ممزقـة — مجلـل بثياب الحـزن ينتحب
لبنان أجدب من خصب وممرعة — وأمحل الوارف المستعذب الخصب
وزرقة الصحو قد غطى نضارتها — دجى الدخان وارست فوقها السحب
فـلا ملاعبة الفيح اللطاف ولا — ... تـلالا في هالاتها الحبب
ولا مصايفـه الخضراء آهلـة — بالسامرين وشاخ الانس والطرب
ليـل تطاول والاشباح فاغـرة — فاهـا بلبنان والارزاء والنوب

بغداد — ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

وتسرد — من خلال القصة — طائفة من ذكريات طفولتها التي شهدت الاعمال الوطنية البطولية ، فشاركت في التظاهرات ، وساهمت في الاضرابات ، احتجاجا على وجود الاستعمار الفرنسي ، فتختلط عندهـا الذكريات بالقصة ، ويطغى الوصف على سياق الاحداث ، فلا يعرف القارىء اي لون من الوان الادب يقرأ ... الاطار اطار قصة بطلها ابو محمود الذي حطم المستعمر الفرنسي عربته وادخله السجن ، لانـه اشترك في التظاهرات الشعبية ضده ، امـا المضمون فيجنح في اكثر مـن موضع الى الاستطراد وسرد الذكريات الشخصية ، ورسم اللوحات الشعبية .

ويقودها الحديث عـن الاستعمار الفرنسي ، الى الحديث عن جنود المغاربة الذين اجبرتهم فرنسـا على قتال اخوانهم العرب السوريين ، ثم « دار الزمن دورته » فاذا باولاد او احفاد هؤلاء الجنود يأتون الى سورية مرة اخرى ليحاربوا الى جانبنا في معارك تشرين تحت اسم « التجريدة المغربية » اليس هذا من المفارقات الغريبة ؟ كيف كانوا بالامس يقاتلوننا — مكرهين — وهم اليوم يقفون الى جانبنا وقفة الاخ من اخيه ... وتنتهي حرب تشرين التي تسفر عن عشرات الشهداء ، فترى الكاتبة في احد المواكب رجلا يتوسط الصف الاول ، يرتدي قميصا ازرق وسروالا اسود ، وعلى رأسـه طاقية بيضـاء ، يمشي هادئا صامتا شامخا ... انه ابو محمود عينه ، صاحب عربة الاولاد التي حطمها الفرنسيون ، يشيع ابنه الضابط في الجيش السوري ... وكان قد شيع قبله ابنه المجند الذي استشهد في معارك جبل الشيخ .

مهما قيـل في قصص السيدة مقبولـة الشلق ، ومخالفاتها الفنية ، وخروجها عـن قواعد القصة الفنية المعروفة ، فانها تظل تشد القارىء اليها بلطف ومودة وحب ، وتشعره قراءتها بلذة سحرية آسرة ، لانها تنقله الى اجواء من نشوة الماضي القريب ، على اجنحة مـن الوصف البارع بالكلمات اعذبة المختارة بذوق ومهارة ، وتثير في نفسه مشاعر عميقة يختلط فيها الالم بالسعادة واللذة ، كما في قصة « الغادرة » التي تحدثت فيها عن مدفاة المازوت التي احبتها ، وبينت اسباب كرهها لمدفاة الحطب من خلال ذكريات حميمة في الطفولة والشباب ، ثم كيف غدرت بها هذه الصديقة — مدفاة المازوت — في ليلة عاصفة من احلك الليالي واشدها هولا ، اذ نفضت دخانها وهبابها الاسود في البيت ، اثر عاصفة هوجاء مجنونة ، فاستحال كل ما فيه الى لون اسود داكن ، حتى وجهها ووجه طفلتها التي كانت تشويها الحمى في تلك الليلة .

ابطال مقبولة كلهم يتحركون ، الجمادات كالاحياء ، من مدفاة البيت ، الى جبل قاسيون ، الى نهر بردى ... وكلهـم يتكلمون ، ويحبـون ، ويتألمون ، ويسعدون ، ويكرهون ... مما يدل على سمو خيالها الخلاق ، وقدرتها الفائقة على الوصف والتصوير ، وخلع الصفات الانسانية على كل شيء ...

دمشق — عيسى فتوح



حتى العصافير اعلنت الحداد

بقلم خلف بشير

بالامس مات ابراهيم .. ودع هذه الدنيا .. دون ان ينبس بكلمة واحدة ... دون ان ينطق بحرف واحد ، هوى كما تهوى ذرة غبار من الاعالي على اديم الارض ، لفظ انفاسه في المستشفى خلال الليل ، فالساعة والدقيقة مجهولتان ، اذ ان المرض المناوب اعلن : انه توفي خلال الليل ... رحل الى العالم الآخر ، وغير بعيد من سريره ممرضة تفرقع العلكة منتشية ، في حوار هادىء رومانسي مع ممرض يطوفان دنيا الاحلام .

لم يكن حادث وفاة ابراهيم الطفل مفاجئا ، فالذين شاهدوه وهو ملقى ينزف دما بغزارة على حاشية الطريق ، ثمرة ناضجة .. طرية .. ريانة .. سقطت من الشجرة فوق صخرة صلدة ، وبفعل قوة السقوط وثبت لترتمي اخيرا على الحاشية .. فقدت الثمرة شكلها الاصلي .. تعودت الانظار هذا السقوط ... تبلد الاحساس والشعور .. التفوا حول بعضهم في حلقة مكثفة ، اشرأبت من بينها الاعناق ، بصق احدهم على الارض بعدما انفلت من الحلقة ، معلقا :

— هه .. ارانب تلد ، وتلقي بصغارها على قارعة الطريق .

وافقه آخر باشارة من رأسه . اندفع ثالث مقتحما الجمع بمنكبيه صارخا :

— لنخط خطوطا تحدد مساحة الضحية .

— لا يا رجال .. لنقم بعمل اسرع .. اراه مفيدا في هذه اللحظة .. ما قولكم في البحث عن وليه ؟

رفع احد الشيوخ رأسه الى السماء وتمتم : « الله يلعن هذا الزمان » . شكلت خيوط حمراء متدفقة من الضحية مساحات ذات اشكال هندسية غير منتظمة ... عينان شاخصتان الى الفضاء .. انزاح منهما اللون الاسود .. تاركا الحرية للون الابيض ، الفرصة كي يحتل مساحة العين .. ثم تمددت الاطراف مرتخية شيئا فشيئا . دنا احد الحاضرين من الضحية .. وضع اذنه على الصدر ، هتف بارتباك :

— انفاسه ضعيفة يا ناس ، لا يزال بامكاننا انقاذه ، لكن ... لكن ، كيف العمل ؟

— لنترقب رجال التحقيق ، فوجود الضحية في مكانها سيساعد على معرفة الحقيقة ...

... اندفع شيخ متصابٍ ، بقوة الشباب .. بعزيمة الفتوة .. فاتحا لنفسه طريقا .. انحنى بلطف واحتضن الضحية وانطلق بها على الطريق يعدو .. سريعا ما لحقت به سيارة ، ابتلعته بحمله .. وغابت عن الانظار .

* * *

— بجسم حط الكبر عليه كلكله المرعب .. صيره شبه انسان .. تتردد في داخله انفاس ضعيفة واهنة .. بقلب يخفق بجنون صعقته الصدمة .. لم يدر ما حدث بالضبط . عبارة واحدة التقطتها اذناه ، فاه بها جاره منذ لحظات حينما اطل من الباب :

— جمع كبير من الناس تجمعوا قبل لحظات .. قيل وان سيارة تجري بسرعة جنونية دهست طفلا في السادسة من عمره .. السائق لم يعثر عليه بعد .. والسيارة انها واقفة هناك ، وداخلها تغني كوكب الشرق .

اندفع اثناءها كالبرق الخاطف .. صوب المكان .. خيوط كثيفة من سائل احمر ضمخت المادة السوداء . كان الكل على جانبي الطريق بعيدين ... عيون شاخصة ، واخرى تشير الى مكان الحادث .. بعض الرجال غابوا في حوار ساخن يوزعون الجرم الفظيع ...

اطل من منعطف الشارع ، لم يتضح الموقف لديه بعد .. رشقته الانظار جميعها .. اثخنته جراحا .. كاد ان يسقط .. ايستند الى جذع شجرة جانب الطريق .. اقترب من احدهم ، ثم ما لبث ان خاطبه بصوت ترتعد نبراته :

— ماذا حدث قبل لحظات هنا ؟ حركة غير عادية تبدو لي ..

— . . . .

— ارجوك ، افصح ، اني لعلى استعداد ان اصغي اليك بشجاعة وصبر .. اعتبارا لهذه الانظار الموجهة الي .. والهمسات التي تصلني ، فقلبي ما يحدثني بخير وهو يقول لي :

— ان مكروها حدث يمس قريبا لي ، اليس كذلك ؟

— بلى ، يا محمد .. مجرد حادث بسيط جدا ، اصيب به ابنكم ابراهيم ، حينما كان يقطع الطريق .. احتكاك بسيط بسيارة قادمة من الجهة الشمالية .. اسقطته ارضا .. مجرد سقوط .. الواقع حالته لا تدعو للخوف .. اسرع به لتلقي الاسعافات الضرورية ...

* * *

— مساء الخير يا اخي .. الم تحضر سيارة قبل حوالي الساعة الى هنا تحمل طفلا جريحا ؟

ـــ لا ادري بالضبط ، فكما ترى سيارات كثيرة تدخل وتخرج في كل دقيقة حاملة المرضى او الاطباء .. او العمال .. او ... او ...

ـــ لكنك بالباب على علم بكل شيء .

ـــ يا سيدي ، انصحك بالتوغل داخل المستشفى ، ولسانك دليلك ..

مرت الثواني والدقائق .. وشرع الليل يرخي سدوله على الكون .. في الافق البعيد من ناحية الغرب تشكلت مساحات حمراء وصفراء وبرتقالية متداخلة في بعضها .. كاشفة عن وجوه واجسام ذات هيئة غريبة ومخيفة .. مرعبة . على ضوء باهت لمصابيح تحتضر كان يقطع المنابر والممرات ولسانه دليله ، كرهت اذناه الاصغاء الى جواب سمعه للمرة العاشرة :

ـــ والله يا اخي ، لست ادري .. لكني اشير عليك بالتوجه الى قاعة رقم واحد .

دلف الى قاعة رقم واحد .. دافعا الباب بعنف .. سلاحه حقد تجمع منذ سنوات ضد كل الابواب الحاملة للارقام .. للكلمات .. اندفع وحش هائج . دخل القاعة رقم واحد للمرة الرابعة .. ما اكره العبارة الكاذبة الى نفسه في كل مرة : «والله يا اخي ، والله يا اخي » ... بخطوات عملاقة ، ارتعدت لها ارضية القاعة ، قادته الى باب تحميه حروف انضمت الى بعضها ، والتصقت مكونة صفا دفاعيا .. بل هجوميا ضد من يجرؤ على الاقتراب .. واقترب بثبات .. حدجته الحروف بنظرات قاسية عنيفة ، لا تخلو من الايقاع به ، غير انه تمكن من الاقتحام بنجاح : ودخل الحصن المتين المحروس وسقط نظره عليهما ، كانت المفاجاة مذهلة له ، ولهما .. همسات رقيقة .. وانفاس ملتهبة بلهيب النشوة واللذة .. والشفاه تلتهم بعضها بعضا .. واطلق الزناد لرشاش فمه يطلق ناره الحابية .. الحارقة .. المدمرة .

حقن بحقنة مخدرة . قربته من حالته العادية .. اعادت الى نفسه الحيرى بعضا من الطمانينة التي لا تخلو من شك وريبة :

ـــ اطمئن ، فقد تلقى الاسعافات الاولية . وحالته على احسن ما يرام .. لا تخش مكروها عليه ... الآن قد اقبل الليل انصرف وطمئن الاسرة ، وغدا ان شاء الله عد .

ـــ لكني احس بشوق لرؤيته .. نفسي تتحرق شوقا اليه .. اريد ان اراه بريكم ...

ـــ الا تثق فينا يا سيدي ؟ ثم ان الطبيب في هذه الحالات يمنع الاتصال بالمريض ، الا بعد اجراء الفحوص الكاملة والتعرف على نوعية الاصابة .. عد في الغد ، افضل .

* * *

اكتظ الحوش بالنساء قدمن من كل احياء البلدة .. باعينهن الماكرة يلتهمن مبروكة التي كانت طورا تغيب عن الوجود في اغماءة طويلة تعود منها الى رشدها بعد اسعافات تقدم لها من لدن الحاضرات ، وطورا آخر تكون شاردة الذهن ساهمة وعيناها جاحظتان .. وبين هذا الطور وذاك ، لا تتوقف عن ترديد : . . . .

ـــ ابراهيم ، توا كان يلعب قربي .. ها هو الرمان احضره الي من غرفة المؤونة ... انه لذيذ وحلو المذاق .. اكل منه ، وترك الباقي لي .. طلبت منه ان يذهب الى سعيدة اختي .. سيحضر حالا كما امرته .. من غير شك انه عائد في الطريق ... كعادته سيطالع دروسه .. محفظته هناك .. يا فاطمة ... يا فاطمة .. يا بنيتي .. تطلعي من النافذة الى الطريق .. راقبيه عله قادم .. قمن يا نساء .. الليل جاء .. عدن الى منازلكن .

ـــ اسعد الله صباحك يا محمد : هل اتصلت بالمستشفى هذا الصباح ؟

ـــ نعم .. اتصلت بنفسي قبل بزوغ الشمس ، غير اني لم اتمكن من الدخول رغم محاولاتي للحارس الليلي .. بيد ان هذا الاخير غاب لدقائق واعلمني عقب عودته .. ان حالة الطفل تحسنت .. ومن المحتمل جدا موافقة الطبيب على اخراجه .

ـــ صباح الخير محمد .. ما الاخبار ؟

ـــ بخير ، ان شاء الله ، قيل لي ان حالته تحسنت ...

ـــ هل رايته هذا الصباح ؟

ـــ لم اره بعد .. الا ان الحارس طمأنني ...

كبرت الحلقة .. تضاعف عدد افرادها .. توالت الاسئلة الصادرة من هنا وهناك .. احس بدماغه يكبر ويكبر ويتثاقل وزنه .. والصداع يقتحمه في غزوة همجية .. كاد يسقط .. انتصبت ضبابة كثيفة امام عينيه .. انسل من الحلقة ، لاحقته كلمات من الحلقة .. حروفها سهام سامة رشقته .. اثخنته جراحا ، بخطى متعثرة .. ابتعد بعيدا ... بعيدا ... وحيداً ...

* * *

بوجه حزين فقد نضارته ، هجرته دماء الفتوة ، فاجأ هول الحادث محمد ، لم يصدق ما حدث ابدا .. افي ساعات قليلة يفقد وحيده ؟ .. الابن الفريد الذي رزق به بين بنات ثلاث .. افي اقل من يوم يغيب عن عينيه الى غير رجعة ، من اشترى من اجله قطعة ترابية وبنى عليها منزلا لتقيم به الاسرة حتى يتمكن ابراهيم من دخول المدرسة والتعلم وتحقيق امنية الاب التي حرم منها هو في طفولته ؟ ... لم يصدق ما حدث ، جلس في ساحة الحي يتقبل التعازي ، او هكذا ارادوا ان يتقبل التعازي ، مكتفيا بتحريك راسه احيانا ، فاقد الشعور والاحساس بالزمان والمكان احيانا اخرى .. حركة غير عادية حوله .. ايد كثيرة امتدت اليه .. شفاه تحركت .. اصدرت اصواتا تذبذبت بين عالم الغيب وعالم الواقع .

نغم عذري

دع فؤادي اينما رحلا	لن ارى في حسنها مثلا
كل سحر ، غير طلعتها	صار في عيني مبتذلا
كيف تاه القلب من زمن	كيف عن كنز الهوى شغلا
روض حب ، في مفاتنها	ورده ، من عطرها اغتسلا
عش على اغصانه غردا	غارقا في سحره ، ثملا
سر تلك الروح اعرفه	كل حس بيننا اتصلا
نهر حبي في بحيرته	صب من ترياقه غزلا
والتقينا ، في مدى نظر	كل شوق ضج واشتعلا
واستفاق القلب بعد هوى	جدد الماضي له اجلا
كيف ينسى القلب جوهره	نحن كنا الشوق والقبلا
نحن عشاق بلا امل	نحن ليل نجمه افلا
نظرة تروي جوانحنا	ليس نبغي بعدها سؤلا
حبنا رمز وتضحية	اي حب مثله اكتملا
فوق ارض الروح منبته	عن سمو النفس ما نزلا
عاش في قلبين عشقهما	كان دوما يولد الاملا
قد تغذى من طهارته	وارتضى بالوجد كاس طلا
ذاك احساسي ويعرفه	كل مضنى ، اينما سئلا
لن يحيد القلب غايته	عنه ، مهما شاء او فعلا

حماه ـ سورية

وليد حجار

... فجاة توقفت سيارة عريضة فخمة طويلة ذات زجاج اخضر .. تحمل رقم هوية اجنبية .. تقيات عبثها حذو الجماعة .. ثلاثة رجال يبدو انهم من اعيان بلدة مجاورة .. رابعهم شاب انسدل شعر طويل على قفاه .. بنهم غريب راح يمتص من غليونه ، ومن وراء زجاج نظارته السوداء وجه نظرات الاحتقار نحو الجالسين ، اتضح فيما بعد انه عائد للتو من بلاد المهجر ، بعد التحية وتقديم التمازي ، انفردوا به ، مربع زواياه رجال اربعة قائمون ، كان هو نقطة الوسط ، قال اكبرهم وافصحهم :

ـ نأسف والحزن يحز نفوسنا ويؤلم اعمق اعماقنا لما حدث ، وهذه مشيئة الله في عباده ولا راد لها .. الا تؤمن بهذا يا سيدي ؟ المؤمن صبور ... جئنا باسم السائق الحاضر معنا .. بل باسم البلدة نطلب منك العفو امام الله اولا ، ولا نطلب منك التنازل عن حقك المادي ، ففي هذا الشأن اتينا نعرض تسوية القضية من خلال هذه الكمية الوفيرة من الاوراق المالية .. خذ .. انها لك وحدك .. على الاقل تخفف من الك .. وعلى المدى البعيد تنسيك هول الحادث ... الله رؤوف بعباده، سيعوضك غيره .

ـ مجرد حادث فقط يا سادة ، ابني ابراهيم كما اعلمني المرضون بالمستشفى حالته تحسنت .. نعم فعلا تحسنت لقد رايته ، كان وجهه منيرا كالبدر .. ساذهب لآتي به بعد ساعة .. سيعود الى مدرسته بمحفظته الجديدة التي ابتعتها له يوم الجمعة الماضي مكافاة له على ترتيبه الممتاز في فصله .. مجرد حادث بسيط .

اقترب احد الجالسين من الرجال الاربعة وخاطبهم بلهجة لا تخلو من عتاب وزجر :

ـ افي مثل هذه الظروف يا سادة، وفي هذا اليوم بالذات تأتون .. اغربوا عن وجوهنا .

قمار ـ الجزائر

خلف بشير



كريستينا سكرجينسكا

يوسف عز الدين شاعرا ومؤرخا

بقلم الكاتبة البولونية : الدكتورة كريستينا سكرجينسكا

ترجمها بتصرف : اندريه دريفنوفسكي

* * *

هذه الدراسة كتبتها باللغة البولونية الدكتورة كريستينا سكرجينسكا بوخينسكا الاستاذة في جامعة وارشو والتي اوقفت حياتها على دراسة الادب العربي والمراة العربية وتبذل جهدها في تعريف الادب العربي وقضايا المجتمع العربي المعاصر وفكره للقارىء البولوني ومن اشهر ما كتبت مشاركة مع رئيس قسم الدراسات الشرقية الاستاذ يوسف بيلافسكي والدكتورة يولانتا ياشينسكا كتاب الادب العربي الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين الذي ظفر بالتقدير والاعجاب وفاز بجائزة علمية قيمة .

ودراستها عن الدكتور يوسف عز الدين الشاعر العراقي الشهير جزء من دراساتها الكثيرة أحببت ان اقدمه القارىء العربي ليطلع على مقدار اهتمامنا في بولونيا بالادب العربي والمجتمع المعاصر في دنيا العرب (أ.د) .

شاعرنا من رواد الشعر الوجداني الاصيل المشهورين ولد في بعقوبة في محافظة ديالي في العراق وهو مؤرخ معروف بما اشاد من بناء فكري في صرح الادب العربي الحديث وهو استاذ في جامعة بغداد وعضو في المجمع العلمي العراقي(١) وقد حصل على الدكتوراه من جامعة لندن في تاريخ الفكر العربي السياسي والاجتماعي بعد ان درس في جامعة الاسكندرية . صدرت له عدة دواوين هي : في ضمير الزمن ١٩٥٠(٢) والحان ١٩٥٣(٣) ولهاث الحياة ١٩٦٠(٤) ويبدو لي انه من انصار الشعر العمودي (الكلاسيكي) يمتاز بالاصالة وعندما يترك هذا الشعر ينظم اجمل الموشحات وارق انواع الشعر الحر المتطور .

أن دارس شعره يحس بالشوق العميق والعاطفة الصادقة والحنين الجارف نحو العراق عندما يكون في الغربة ويرسم ذكرياته الحلوة في بعقوبة وبغداد ويحن الى سمر دجلة ولياليها الجميلة . وللشاعر حنين الى النيل وجماله فقد قضى زهرة العمر والشباب في مصر ولم يقف شعره على جزء من اجزاء الوطن العربي انما وزع شعره على الاقطار العربية التي زارها والعالمية التي تمتع بجمالها .

وشعره السياسي يمثل المنزلة الثانية بالقياس الى ما طبع من شعره فقد تغنى بالثورة العراقية التي قامت ضد الاستعمار البريطاني ١٩٤١ وآزر كفاح الاقطار العربية ويظهر التزامه في كتاباته النثرية فهو اديب ملتزم بقضايا الوطن العربي والانسانية ، ان شعره الوجداني الرقيق هو الرافد الكبير الذي يسيطر على شعره فقد عبر فيه عن حب عميق وشوق دفين فقد وصف الالم الذي يهز المحب عند فراق الحبيبة ويظهر ساعات البعد الاليمة التي تؤثر في قلب المحبين ، وقد امتاز شعره بالصور الانسانية الخالدة والاسلوب الجزل والبناء المتين الذي نجده في شعر العرب الوجداني القديم (عند عمر بن ابي ربيعة وجميل بثينه) وامتاز شعره بالشخصية الواضحة والصور الشعرية ذات الخيال المجنح التي املتها تجاربه الفردية واحساسه الانساني الكبير من ذلك :

قف حبيبي قبل ان تذهب عني
لحظة حتى اراك
اشبع العينين من دل وفن
واطيل النظر المحموم في آيات حسن
قف حبيبي
روضتي انعشتها بالامل
منذ رشفاها جنون القبل
عذبة مثل الاماني
ورقيقات الحنان
لا تذرني راشفا في السام المضني الكئيب
وحوالي احاسيسي الجريحه
مطرقات في حناياي الذبيحه
قبل ان تذهب مني
قف حبيبي(٥)

ومن القصائد العاطفية العميقة الصادقة الاحاسيس الرقيقة الشاعر قصيدته (ليست الذكرى سرابا) نجد فيها

راح الهوى

قالت اتهواني ؟.. فقلت.. وبي جوى — حبني مداه يفوق ابعاد الخيال
واحب فيك .. سماحة .. ووداعة — وانوثة عذراء .. زانتها الخصال
قالت : اذن صفه .. بقول رائع — يروي فؤادي ... لا يجاريه مثال
لأعب من اجوائه راح الهوى — واعيش فيه الحب سلسالا حلال
يا جلوتي ما تطلبين منا له — ان كان صدقا — امره امر محال
راح الهوى .. في صفحة .. او قبلة — والضم والتقبيل شيء لا يقال

حلب — ص.ب ٥٦١٧ — انور عدي

الصياغة الجميلة والعبارة المتينة والخيال الواسع ويحس القارىء بالم الشاعر ينساب الى روحه واحزانه تدخل الى قلبه ، ويرى صورها الجميلة حية كثيرة الحركة في مثل قوله (جفلت جيوش الالم) و (الليل المسعور الرؤى) الذي يبكي على اجزاء الشاعر وفي (ملل سوط العذاب) وفي (زهرة المرتاع الحشا الذي يرمي به القدر للحياة) وهي من الشعر الانساني الذي رسم صورا خالدة :

زهــــرة مكبوتــة اناتهــا — جن منها شوق قلب مضرم
ثــورة مكبوتــة في اضلعــي — جفلت منها جيوش الالم
ايها الليل الذي اسهرني — امنح القلب لذيذ الحلم
وارو لــي ايامي اللاتي مضت — وات بالطيف الحبيب الحالم
واستمع نجوى فؤاد مدنف — هو سر الوجد في القلب الظمى
ورايت الليل مسعور الرؤى — وعلى شكواي يبكي بالدم
يا حبيبي ليست الذكرى سراب — انما الذكرى التياع وانتحاب
فاتشد يا هاجري في مهجة — ملل من تعذيبها سوط العذاب
يا حبيبي اوتدري ما بنا — ان اشجان الهوى تستعر
وسرى الامال يسري بدمي — فمتى يرسو الفؤاد الحائر
انني زهرة مرتاع الحشا — قد رماني للحياة القدر
فانزلي يا حبيبي ظلمة — ليس يجلو الليل الا القمر
يا حبيبي امنح الصب رضا — فبذكر الحب يحلو السهر
فيك قد غنيت انغام الهوى — فبكى اللحن وناح الوتر

وقد اسهم الدكتور يوسف عز الدين مساهمة علمية كبيرة في تاريخ الادب العربي الحديث فهو بالاضافة إلى انه شاعر عراقي معروف فله في مجالات النقد والبحث العلمي الجاد باع طويل وفكر عميق ونظرة اصيلة فهو الذي شاد صرحا في تاريخ الادب العربي الحديث بمؤلفاته ورعاها نبتة صغيرة حتى اصبحت شجرة سامقة الذرى بما الفه وحاضر عن الادب في الاقطار العربية والاجنبية . ان كتبه وبحوثه ودراساته في تاريخ الادب العربي في العراق خير معين للدارس واصفى منهل للعالم فبالاضافة الى التفوق الفكري والامتياز الادبي تنفرد بالدقة العلمية والسلامة الفكرية والتتبع الواسع والاستقراء الصائب ومن كتبه :

١ — الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ، خصائصه واهدافه وقد طبع ثلاث طبعات .

٢ — الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية وطبع اربع طبعات .

٣ — في الادب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية نشر في بغداد وبيروت والقاهرة .

٤ — الرواية في العراق تطورها واثر الفكر فيها(٦) .

هذا هو شاعرنا ومؤرخنا باختصار شديد وتركيز مكثف ارجو ان تتاح لنا فرصة اخرى لدراسته دراسة موسعة جديرة بمركزه العلمي ومكانته الشعرية واثره في الفكر العربي الحديث .

---

(١) — وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق وعضو المجمع العلمي في الهند .

(٢) — طبع مرة اخرى في القاهرة سنة ١٩٧٠.

(٣) — اعيد طبعه سنة ١٩٧١

(٤) — اعيد طبع الديوان من الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٧

(٥) — ترجمت الاستاذة القصيدة كلها واكتفيت بجزء منها وهي منشورة في لهاث الحياة ص ٧١

(٦) — للدكتور يوسف عز الدين عدة كتب اخرى منها ديوانه (من رحلة الحياة) الذي سجل فيها ترجمة حياته ومن كتبه العلمية القصة في العراق وداود باشا ونهاية المماليك في العراق وفهمي المدرس من رواد الفكر الحديث وخيري الهنداوي حياته وديوان شعره وابراهيم صالح شكر وجذور الفكر في العراق والاشتراكية والقومية واثرهما في الادب الحديث وقلب على سفر (رواية) وقضايا من الفكر العربي اضافة الى ما حقق وكتب بالانكليزية .

اندريه دريفنوفسكي — وارشو — بولونيا